هـادى سلام

أوتـار الحـب ..

تعزف عشقاً

قصص قصيرة

تقديم :
أ. د. أحمد زلط
أستاذ الأدب والنقد
عضو اتحاد الكتاب ورابطة
الأدب الإسلامى العالمية

إهـداء

* إلى مصر الحبيبة ..
التى أعطتنا الحنان
والأمان والأمانى

* وإلى الكويت الغالية..
والتى يجرى حبها فى دمى وكيانى

* وإلى الزميل النبيل
أحمد إسماعيل بهبهانى

* وإلى كل عشاق الآداب والفنون
فى كل أرجاء الكون
حباً ومودة

هـادى سلام

قد يعشق غداً

ذلك الذى لم يعشق أبداً

حتى الذى عشق اليوم

قد يعشق غداً

«شاعر مجهول»

الغلاف والرسوم الداخلية - بريشة الفنان : المرحوم سعيد الكيلانى

مقدمة المؤلف

الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم ... أما بعد ..

فهذه أوراقى المبعثرة بين سنوات عمرى التى منحنى الله خلالها نعمة هذه الحياة بحلوها ومرها وخيرها، وهذه السنوات الطويلة والممتدة كتبت فيها ما كتبت وكثيرا ما كانت هذه الكتابات لا تعجبنى على الإطلاق فأعود بعد قراءتها مرات ومرات لأمزقها مقارنا نفسى بكبار الكتاب والأدباء الذين قرأت لهم أو التقيتهم عبر ميكروفون الإذاعة أو عملى بالصحف. وكنت دائما أتوق مثلما يتوق صغار الأدباء إلى أن أرى اسمى على أحد مؤلفاتى الشعرية أو الأدبية .. ولكن كثيرا ما كنت أتردد قائلا لو فعلت كذا كان أفضل، ولو وضعت كذا كان أحسن، إلى أن مرت علىّ الأيام والسنون دون أن أفعل شيئا.. ولكن عندى حكمة قديمة أؤمن وأعمل بها وهى «أن تصل متأخرا .. خيرا من ألا تصل» وهذه حقيقة ماثلة أمام عينى فكثير من الأمور فى حياتى الخاصة تمنيتها عن قرب ولكن لظروف ما منعتنى من الرغبة فى تحقيقها أو الوصول إلى هذه الأمنية ومع الأيام تشاء الأقدار

وتثبت لى التجارب أنها عندما وصلت إلىّ متأخرة كانت أجمل وأفضل بكثير.. وعلى سبيل المثال وليس الحصر، عندما كنت طالبا بكلية الآداب جامعة الزقازيق كانت هناك رحلة سنوية لطلاب السنة الرابعة إلى مدينتى الأقصر وأسوان لمدة خمسة عشر يوماً ،وكان معى مبلغ من المال ـ قيمة رسوم الرحلة ـ ومع أنه كان مبلغاً كبيراً فى هذا الوقت إلاّ أننى فضلت أن أفعل به شيئا ينفع أسرتى بدلا من أستمتع بدفء أسوان وآثار الأقصر.. وتمر الأيام، ومن أجل هذه القناعة وهذا الرضا، منحنى الله سبحانه وتعالى فرصة أجمل بعد التخرج والعمل باتحاد الإذاعة والتليفزيون. للذهاب لهذا المكان، فقد اختارنى الرؤساء فى العمل لأقوم بتدريب مذيعين ومحررين ومقدمى برامج جدد لإذاعة جنوب الصعيد بمدينة أسوان لمدة ثلاثة أشهر متواصلة ولتأسيس إذاعة جديدة هناك عام ١٩٩٠ إن لم تخنى الذاكرة - وعشت هناك أكثر من مائة يوم من أجمل أيام عمرى.. وقد انتقلت فيها من أسوان إلى سوهاج إلى قنا ومدينة الأقصر الجميلة لأعيش بين أحضان الفراعنة ودفء أسوان والسد العالى وأتغنى بنيل مصر العظيم.. وأحمد الله وأشكره صباحاً ومساءً على هذه النعمة الجميلة وأنا أردد هذه الحكمة «أن تصل متأخرا خيرا من ألاّ تصل» وهأنذا اليوم أسجل بين أيديكم الآن مجموعة من القصص القصيرة

تأخرت طويلاً عن نشرها لأسباب كثيرة، ومتعددة منها الأسرة والسفر والعمل البعيد عن الأهل فى مصر وأشياء أخرى.. إلا أننى قررت الآن أن أعمل مرة أخرى بهذا المثل لتكون هذه المجموعة - عزيزى القارىء - بين يديك متمنياً من الله أن تعجبك وتنال رضاك وأنتهز هذه الفرصة لأشكرك - عزيزى القارئ وعزيزى الباحث والمهتم وكذلك أساتذتى - لاقتناء هذه المجموعة القصصية وأتمنى لك لحظات جميلة وممتعة وخيالاً خصباً مع هذه الحكايات القصيرة الجميلة أو المملة والصغيرة التى ربما تكون من واقع الحقيقة أحيانا أو من صنع الخيال أحيانا أخرى، إلاَّ إنها فى النهاية قد تضيف إليك فكرة أو كلمة أو حكاية، والله الموفق والمستعان..

المؤلف



مقدمة
الخطاب القصصى عند هادى سلام
بين
الواقعية الطبيعية والمأثورات القولية

● ● بين يدى القارئ الكريم المجموعة القصصية الأولى للكاتب والإعلامى هادى سلام والمعنونة باسم العنوان الداخلى «أوتار الحب تعزف عشقاً» وقد أحسن اختيار ذلك العنوان من بين عناوين قصص المجموعة جميعاً وتلكم القصة تمثل إجماعاً فنياً للظواهر الفنية والفكرية فيما طرحه من أدبيات القص.

وإذا كان النقد تابعا للإبداع الأدبى أو هو ظل لنتاج المبدع وكاتبه فى آن،، فإن أول مقاربة لقصص المجموعة تدلنا على موهبة تأخر ظهورها فى بابها لفترة طويلة لعزوف الكاتب عن إبرازها ونشرها بين جمهور القراء لأسباب متنوعة، أعرف أهمها وهى الشواغل الإذاعية والصحفية الممزوجة بالاستغراق المطول فى تصويب دفة الحياة البيتية، لكن هادى سلام دفع فى شرايين الموهبة دفقات عظام، آمن بها وبأهميتها فى إطلالة الشروق، فجاءت شمس الكاتب مشرقة بطزاجة أدب القص، وبكارة أساليب

الحكى منوّع السرد، متعدد الأفكار.

● ● لقد سعدت بتقديم موضوعى لنتاج مميز جاوز فيه المبدع والناقد أصابع الجراح وما أكثرها فى الحياة الأدبية المعاصرة، ذلك أن المبدع بحكم عمله المهنى فى حقل الكلمة والإبداع قد بات من قدامى العاملين فى الميدان، بالإضافة إلى تحقيق الذات مغترباً لأكثر من عشر سنوات، أما قلمى فقد طوف بعلمه فى اجتهاد ملحوظ على المستويين القطرى والعربى، فلم ينل منه قلم مارق أو سهم حاقد، لأن الموضوعية العلمية بقيت بؤرة شعوره وشرارة دماغه دائما، فى ضوء ذلك جاء استقراء قصص المجموعة ـ غير مرة ـ بهدف محاولة المقاربة المحايدة واستخراج اللآلئ والأهداف من بين سطورها.

● ● ●

● ● أحسن هادى سلام تبويب قصص المجموعة مما يدل على حسه الفنى، وذوق الفنان الواعد، الذى وعد بتواصل نشر مخطوطاته الحبيسة فى ملفات الأدراج.. استهل الكاتب هادى سلام مجموعته «أوتار الحب تعزف عشقاً» والتى حملت عنوان المجموعة جميعا، وهى من القصص الفنية الناجحة سردا ولغة وفناً، إذ لجأ الكاتب إلى استخدام أسلوب الرسائل بين الحبيبين،

ويؤكد فيها ذلك الحب المتواصل بين شعبين صديقين هما دولة الكويت ومصر، وتختفى فى القصة تقريبا الجمل والأساليب الخبرية ـ من مخزون وطبيعة مهنته الإعلامية فى حقل الكلمة ـ إلى أساليب فنية إنشائية طويلة ومقتضبة، فيها الإيحاء والتكثيف والوصف.

●●●

أما قصة «مهمة سرية» قصد الكاتب كفاح المرأة العربية لتسيير دفة الحياة، ثم يلى ذلك قصة الرحلة التى تفصح عن مخزون تجربة حب فاشلة.

تضم المجموعة أيضاً على الترتيب قصة عنوانها «وظائف خالية» لكن نهايتها المفجعة لا تفصح إلا عن رمز بعيد يشير إلى الرأسمالية الجديدة التى قد تعبث بسلوكها أو عربدتها أحيانا، فتقتل طموح الشباب الباحث عن فرصة عمل. وتجئ القصة المتميزة «العزف على أوتار الجائزة» وهى من بين أهم الملامح الدالة على سكون الموهبة وانفجارها، لأنها تجمع بين (الذاتية) و(الواقعية) و(المأثور القولى الشعبى كذلك).. البنات قدم السعد! وليس من شك أن (نهى ـ الابنة كانت حلماً وواقعاً) كذلك!.

أما قصة «المرأة اللغز» أو امرأة مشفرة فمن القصص التى

تعكس خيال الكاتب وواقعه معاً، مما يتعرض له البعض من شباك بعض النساء وكيدهن، بل لغزهن العظيم، لم يستطع الكاتب حل رموز شفرتها فلم يلتقيا، وتُركت القصة بنهاية مفتوحة!.. الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا.. صدقت مقولة «كبلنج» على نوع من النساء الدواهى.. «الدواء هن وهن الدواهى».

يلى ترتيب القصة الآنفة، قصة «الغروب» وهى قصة وصفية تمثل عطر البدايات القصصية، وبذور أدب القص، وفيها أساليب لغوية وصفية لمجتمع نشأته التكوينية، حول قرية (أم رماد) الكائنة غرب مدينة الزقازيق.. ففى قرية الكاتب وسائر القرى الكونية يُعمل الإنسان خياله وينسج أحلامه ومثلما يشيّع مع الغروب آلامه.. المواطنة والانتماء هما مغزى قصة «الغروب» ومع عدم مناسبة العنوان تماما، فإن الكاتب قد نجح فى تحويل المواطنة والانتماء إلى مبنى ومعنى، من إغراقه فى محل ميلاده ومواطن نشأته راح يتذكر على حد قوله: «.. كان حنينه دائما يجذبه إلى (أم رماد) مسقط رأسه.. وطنه الصغير حيث كان يعود إليها ليلتقى وأهله وأصدقاءه، وليشاهد بزوغ وإشراقة الشمس ثم ينتظر لحظات الغروب، وهو يتذكر القرية الأم والشجرة الأم.. والأم (الأم) والوطن «الأم».. إن الهروب اللذيذ من صخب المدن وملوثات العواصم إلى أم رماد فكاك لابد منه يظل ملازماً

للكاتب وإن اغترب إلى وطن آخر غير وطنه الأكبر.. دائماً حلمه الهروب اللذيذ لا الغروب النهائى.

●●●

ثم تجئ القصة التى تعكس الشظايا التى تصيب واقع الكاتب أو فئات كثيرة من حوله، فيعكسها فى قصة (دَعْ المُلكْ للمالكْ).. والسرد فى القصة نراه يحمل معاناة المستأجر مع المالك سواء ملاك العقار والأراضى الذين يحيلون أمن الناس إلى أرق وقلق ومشكلات لا تنتهى، القصة تجمع بين الحس الإعلامى المنحاز إلى مصلحة الجماهير وخاصة المطحونين، بينما خفت بعض الشئ البناء الفنى على حساب ضمير الكاتب ووعيه بحقوق الناس فتحول إلى محام.

●●●

وتدلنا قصة «إصابة عمل» على فكرة جديدة فى أدب القص المعاصر، فيها من غرائب الحياة، بل أدب الطبائع المعاصر دهشة النهاية أو المفاجأة غير المنتظرة.. فالعروس ـ يالدهشة ـ هى زوج العريس الأولى التى قدمتها الخاطبة له كعروس جديدة منتظرة!

●● وفى تكثيف ملحوظ وفكر دال تعبر أقصوصة الكاتب «شئ لله» عن عمق روح الكاتب فى الإخاء والمحبة والتكافل

الاجتماعى، فحلم الكاتب فى العـودة إلى بيته ومعه البطيخ الحلو المذاق، البـعيـد المنال عن بعض المسـاكين والفـقـراء، يتحـول إلى إحسـان مبـرر فيـه الهدوء والرضا إذ قـدم «البطيخـة ـ الحلم» إلى السائل المحـتاج الذى يجوب الشـوارع سائلا المارة المعـونة ولسان حالـه يقول «شئ لله».. الشـحاذ السـائل يمتلك البطيخـة من يدى بطل القصـة، ولا يتبـقى إلا الحلم الذى سيحكيـه على الأهل. ثم تأتى قصة «العـواقب سليمة» لترصد بذكـاء الكاتب تاريخ النصر العـربى الكـبيـر فى هذه القـصـة حـيث كـان شـاهدا على هذه الأحداث..

● ويختـتم هادى سلام مجـموعتـه القصـصية الأولى بالقـصة الطريفة «أسكنه الله فسيح جناته» وهى قصة واقعية تحولت بذكاء الإعلامى وفـراسة الأديب إلى قـصة فنيـة، وبطل القصـة صاحب إذاعة أهليـة محلية فـعلية فى قرية شـبه مدينة ـ تحـولت إلى مدينة الآن ـ نصف قرن ومكبـرات صوت سباعـية تحيط الحـيز السكانى للقرية المدينة تقدم خريطة برامـجية بناء على طلب الناس، تكسّب البـحطيـطى صـاحب المحطة من إعـلانات التـهـانى والتـعـازى المدفوعـة!.. لقد حول هادى سـلام فكرة المحطة الإذاعيـة الأهلية

وصاحبها إلى أبطال، ويموت البطل حين تذيع إذاعته نبأ وفاته.. أسكنه الله فسيح جناته.. لقد كشف هادى سلام عن الطرافة والبساطة فى أساليب القص دونما محاكاة أو تقليد لمن يستهدفون الغموض المستغلق أو الرموز المبهمة أو الحداثة فى شططها أحيانا كثيرة..

أما بعد:

فإن هادى سلام نجح فى كتابة القصة القصيرة، متفاوتة الحجم، متنوعة السرد، متعددة الأفكار، وإن غلب عليها أنه ككاتب مندمج كبطل فى أغلبها كالمكان الذى جاء نشأته وتكوينه أو المسرح لبعض أحداثه، إن الحكى التقليدى عن الواقع المعاصر بطبيعته الماثلة، مثَّل هماً للكتابة القصصية عند هادى سلام. لذلك أسجل إعجابى بمجموعته القصصية «أوتار الحب تعزف عشقاً» ومن الفأل الطيب أيضا أن أقف عند بعض الظواهر الفنية والأسلوبية فى المجموعة:

١ ـ تغليب أسلوب السرد الحكائى على لسان الكاتب بصيغة المخاطب لا الغائب مما يدل على تلقائية الوضوح وعفوية الحكى القصصى.

٢ ـ غياب طرائق «النجوى» أو «المونولوج» أو الحوار بمعناه

الفنى بينما لجأ أحيانا إلى حوار داخلى شبه إذاعى.

٣ ـ عمق الروح الوطـنية والإسلامـية لدى الكاتب، فى سـياق أسلوبه، أو طرحه لأفكاره فى ثنايا القصص جميعا.

٤ ـ اغترف الكاتب من واقعه، بل الواقع المحيط به نسيج أفكار قصصه، فهى واقعية طبيـعية لا يتجاوزها للخيال المُساق بالرمز إلا نادرا.

٥ ـ التـأثر بسنوات النشـأة والتكوين فـى قـريتـه «أم رمـاد» الذكريات.. الطبيعة.. المحبوبة.. الأرض.. الأمومة ككل.

٦ ـ اندماج لغة الكاتب القصصية مع المأثورات القولية الشعبية بتضمين الأمثال، والنوادر والأقوال الحكيمة.

تحيـاتى لكاتب المجموعة مع أمـل أن ينشر على جمهـور القراء سائر نتاجه القصصى والبـحثى، لينضم إلى قافلة الأدباء والبحاث مـثلمـا حصـد خـبرته الطويـلة فى ميـدان الإعـلام.. والله الموفق والمسدد للصواب

أ. د. أحمد زلط

أستاذ الأدب والنقد

عضو اتحاد الكتاب ورابطة

الأدب الإسلامى العالمية



أوتار الحب تعزف عشقاً

أوتار الحب تعزف عشقاً

● عندما رآها لأول مرة لم يكن فى حسبانه أنها تتمتع بهذا الجمال وهذا الحُسن وهذه الثقافة الواسعة والمتعددة العلوم والجوانب بالرغم من أن صديقه الذى سعى لأن يلتقيها قد فشل هو فى أن ترضخ لأحكام حبه وقوانين قلبه المتجمد.. فمنذ أول وهلة عندما رآها تدخل صالون حجرة الضيوف لم يرفع نظره من عليها فقد تفحص بعينين «ميكروسكوبيتين» هذا الجمال الطاغى والقد الممشوق والعينين الصافيتين وجمال البشرة والشعر الساجى الأصفر والمهدل والهندام المتنسق وفقاً لآخر تقارير الموضة.. وضعت «هيام» الشاى برفق على مائدة متوسطة الحجم بين شقيقها طبيب الأسنان وبين هشام الصحفى بجريدة «الخليج»، كان شقيقها الطبيب عبدالفتاح راشد من الأطباء الناجحين فى مستشفى التأمين الصحى بمصر الجديدة ولحسن أخلاقه وحب الجميع له اختاروه رئيساً للمجلس الشعبى المحلى بحى مصر الجديدة، وكانت هذه الحسناء الجميلة شقيقته والتى تعمل بإدارة البحوث والدراسات والترجمة بجامعة الدول العربية.. وعندما وضعت فنجان الشاى ابتسمت ابتسامة الرضا لضيفهما الجديد

والذى كثيراً ما قرأت عنه وقرأت له عن طريق شقيقها ولأعماله الصحفية التى انفرد بها فى كشف الكثير من مواطن الفساد فى بعض الهيئات الحكومية.. قال هشام فى ابتسامة خادعة: المجال الوحيد الذى لم أستطع عمل أى موضوع أوتحقيق صحفى فيه حتى الآن... هو هذه الإدارة إدارة البحوث والدراسات والترجمة بجامعة الدول العربية.. وفى ابتسامة رقيقة وكلمات المجاملة اللطيفة قالت : أهلاً وسهلاً فى أى وقت.. كان عبدالفتاح شقيقها مطيعاً لها فى كل شىء فقد حسده الجميع عليها.

كانت هذه هى الجلسة الأولى والتى تلاها زيارات ولقاءات وجلسات أخرى متعددة نتج عنها نبض قلبين لعاشقين جديدين فى عالم الحب، قلب هشام وهيام، ولعل التقارب فى العواطف وحروف الأسماء كان لهما أكبر الأثر فى تقارب الحبيبين.. كانت جل اهتماماتها أدبية وشعرية وكان هو عاشقاً لكل من يكتب الأدب والشعر، ففى إحدى جلساته الخاصة التى استأذن من شقيقها أسمعته أعذب الكلمات والألحان الشعرية فأقسم بالله ألا تفوته هذه الزمردة الجميلة التى أتت من الجنة وهبطت إلى سطح الأرض لتكون زوجة المستقبل له.. فى عدد من الشهور القليلة

كان وتر الحب قد بدأ يعزف قبل أن يكتمل البدر، وصدق قول الشاعر:

وإذا رأيت من الهلال نموه

أيقنت أنه سيكون بدراً كاملاً..

وكان قد اكتمل دوران دائرة الحب الشعرية وأصبحا يلتقيان على صباح الحب وصباح الخير فى الصباح والمساء .

لقد أصبحت اللقاءات شبه معلنة وتهاوت هيام أمام قلب هشام والذى يحمل كل أسلحة دمار القلوب الشاملة، فقد تحطم قلبها أمامه واعترفت وانهارت أمام الرسالة الأولى التى بعثها هشام تحت عنوان « أوتار الحب تعزف عشقاً » قال فيها :

محبوبتى هيام .. أعرف أننى أسير الآن فى الاتجاه المعاكس وأخالف كل القوانين العاطفية، وأعرف أننى أكسر كل إشارات الطريق والصديق وأعرف أننى أصبحت غير قادر على الحياة بدونك.. لا أريد أن أحطم جدران بيتك ولا أقاتل من أجل أن أضمك لأسرى قلبى ولكن لقد اخترتك زوجة المستقبل وأم لأبناء فى علم الغيب.. كما أريدك حبيبة - وصديقة - وقريبة.. وأريدك أن تكونى قريبة منى وكيف لا وأنت الآن تسكنين فى قلبى

وتتربعين على عـرشه.. وتحركـين كل كيانى وحـياتى.. أنت الآن الحب الأول والأخير.. أنت قصيدتى الأولى ولحنى الأول.. وأنت القـمـر الذى أكتب عـلى ضوئه رسـائل حـبك.. وأنت الشـمس الخالدة فى طريقى للـحياة وأنت كل شىء.. كل شىء حـتى نهاية العمر.. أرجـوك سجلى لى سطوراً قليلة أضم بها قلبك تـعترفين لى بحبك لأوقع عقداً اجتماعياً يلزمنى بالحفاظ على قلبك.

لقد أصبح قلبى بالنسبة لك دمية تلعبين بها.. ارحمينى من كل الضـيـاع وكل هذا الانهـيـار.. أريـد أن أسـمـو مـعك إلى عـالم الروحانيـات وإلى سماء العاشـقين وعالم الصفاء والنقـاء.. عالم الحب الروحـانى الطاهر النـقى غـيـر المـدنس بخلجـات الطمع البشرى.. وختاماً لك ألف سلام....... من قلب هشام .

★ ★ ★

لم تمض أيام قليلة حتى كان صوت الهاتف لا ينقطع ويصمت ليعـرف أن هذه إشارات منها.. فى النهـاية إنها علامـات الحديث من خارج المنزل و... فيـخرج ويحدثها وتعطيه موعـداً أمام سينما «روكسى» شارع الشهيد عبـدالحليم جعفر.. وفى تمام الخامسة من مسـاء الخميـس كان الموعد وصـدق وعدها وكانت يـدها المرمرية

تحـتـضن يده وتلهب كـيانـه وهى تعطيـه المظروف الذى طواه فى ملابسـه.. استقلا «تـاكسى» إلى نهر الحب.. إلى نهـر النيل الخالد ليكون شاهداً على قلبى متيـمين... وراح على أنغام أغنية «لمحمد رشدى» كانت صادرة من المركبة تذكره أن هذا الحب لا يدوم فقد كـانت كلمـات الأغنيـة تقـول. «كـان لى غـزال والغـزال له سنَّة سلطانى وشرطة العين كده والضحكة آه يانى.. كان لما يدخل علىّ يدخل معاه الضى بإيده يا خد إيدى افتح له أحضانى» .

ثم يسـتكمل مطرب القـلوب الجريحـة ليـقـول: «آه ه ه ه ه .. والله غـلابة اللى راحـوا يتـرمـوا فى الهـوى لا ليـهم طب ولادوا مجاريح»..

مع هذه اللحظات كـان عم إبراهيم قـائد المركبـة التى تشق صـفـحة النهـر الخـالد.. النيل السـاكن فى ليل قـمـرى طويل يعطينا ظهره مكمـلاً لتقاليـد المهنة والحفاظ على لقمـة العيشّ فإنه يـعرف أن كل من يقـرب النهر فى هذه السـاعة عـشاق.. وأنهمـا بدآ حيـاتهمـا من جديد.. التـصقت يداه بيدهـا وقلبه بقلبها وغافل عم إبراهيم ووضع فى حنان وهدوء ورقة قبلتين على يدها قالت اجعلهمـا ثلاثا فكان مطيعاً هادئاً حالماً إلى أن

عاد بهما المركب إلى بر الأمان..

★ ★ ★

فى منتصف الليل وبعد هدوء تام وبعد أن نام الجميع راح يقرأ الرسالة من جديد وكأنها أصبحت له نشيداً وطنياً لقلبه وراح يكرر ما قرأ كان لا يصدق نفسه.. وراح يعاتب نفسه كيف وصل بهما الأمر إلى هذا الحد مع اقتناعه الكامل بأن هذا الحب هو نوع جديد من كل أنواع الحب.. إنه نوع من أنواع الحب النقى الذى لا تشوبه شائبة.. إنه عشق الروح فقط وعشق الروح ليس له آخر أما عشق الجسد فإنه فانى.. راح يردد هذه الكلمات قبل أن يقرأ الرسالة من جديد وكأنه يسمعها بصوتها :

تقول : حبيبى هشام

إننى أرى بين هذه السطور صورتك وأنت ترسم هذه الكلمات، أرى رعشة يديك وأسمع نبضات قلبك... لا ليس نبضاً ولكنه صراخاً وحرماناً واحتياجاً.. إنه صراخ طفل يريد أمه - يريد أهله - يريد وطنه.. صراخ شجن يجعل كل أوردة قلبى وشراييني تنزف دماً.. ليتك ما كتبت هذا وليتنى لم أقرأه....

لقد صدقت حين سميت هذه الرسالة أوتار الحب تعزف عشقاً

لقد جعلت مشاعرى تحترق لتفوح لك عطراً وحباً وحناناً ، إن عينى بكت لهفة وأسفاً وعذراً.. لك..

● ● يا توءم روحى.. إن قلبى يحتضن قلبك... فقد شرد عنى منذ رآك.. وأصبح لا ينبض إلا بك ولك أن تبكى دموعاً على السطور وأنا أنزف دما بين الضلوع لبعدك عنى.. ما أسعدك!!.. تستطيع أن تعبر... تستطيع أن تتكلم تستطيع أن تصرخ... تستطيع أن تنطلق فى كل اتجاه وتقول: محبوبتى هيام؟!

● أما أنا فلا أستطيع غير الصمت.. غير الكتمان - غير الخوف من المجهول وغير الآلام التى تختزن بين ضلوعى ولا أستطيع أن أتفوه.. حتى بكلمة... واحدة أو بكلمة آه.. إننى لوكنت ملكا لنفسى لركبت عربة مكشوفة وسرت بها فى كل مكان وأنا أهتف بحبك وأتغنى بعشقك... وأعزف بودك لحناً جميلاً... لا ينقطع ليل نهار..

ألم تعلم أن الجبل الشامخ قد انهار؟!

ألم تعلم أن النهر الجارى قد توقف؟!

ألم تعلم أن الليث قد أصبح قطاً بين يديك؟!

● .... أنك دخلت بين حنايا نفسى وأصبحت تجرى فى دمى..

لقد علمت ما بداخلى منذ أن سمعت صوتك.. إنه ليس صوتا عابراً...

بل إنه صوت يعزف عشقاً لأحاسيسى ومشاعرى... وكلماتى لنكون أغنية الحياة إنه لحن لسلطان الحب تصمت له كل المشاعر وكل الأحاسيس هيبة وفخراً واعتذاراً لك... تتهمنى... أننى ألعب بقلبك وعواطفك !..

وتثور متمرداً على مشاعرى وأحاسيسى بعباراتك التالية..

« ليس قلبى دمية من ورق تتلاعبين بها وتعبثين »....

وأرد عليك لأقول لك.. كيف تقول هذا ؟ وأن اللعب والعبث لهما قوانين.. ولهما نظم معينة.. ألم تعلم أن لكل لعبة نظاما معينا يحكمها !!

فمتى خططت لألعب بهواك وقلبك ومشاعرك... إنك تعرف عنوانى واسمى قبل معرفتى أنا بهما.. إذن فمن الممكن أن تكون أنت المخطط لهذا الحب وهذا الطريق.. تسألنى كيف ألعب بحبك.. آه لو تعرف أن عباراتك التى قلتها لى.. ماذا فعلت بى؟! كم هى تحيينى !! وتجدد الشوق فى نفسى.. إنك يوم أن قلت «اخلصى لى وأنا سأكون خادماً لك» إن هذه العبارة بمثابة السهم

القاتل الذى اخترق ضلوعى وهز كيانى ومشاعرى ووددت أن أرد أنا أيضاً عليك...

نعم مثل هذه العبارة لا يقولها إلا رجل حنون طيب القلب لايريد إلا الحب والحنان والود والأمان.. وفى الحب تنهار المعايير بين الحبيبين فلا فرق بينهما فخشيت أن تسمعنى أكثر منها وأنا أريدك شامخاً فى حبك.. وتبقى دائماً أنت الأقوى والأجمل والأفضل..

فأنا لك كما تريد أنت لا كما أريد أنا..

فأنا لك الخادمة.. والجارية.. والأمة - والحبيبة والعشيقة والأخت والصديقة وأنت السيد.. والحاكم.. والآمر والناهى ..إن هذه العبارة عندى لهى أعظم من أى لقاء.

فى الواقع.. اننى لست فى حاجة إلى أن ألقاك فأنت وأنا فى الواقع فى لقاء فعلى فى عالم الروحانيات.. كم تصورت نفسى عروساً لك تلبس أجمل الثياب وأروعها وتحمل أجمل باقات الزهور لتهادى وتقبل يد حبيب غاب عنها زمناً طويلاً.. كم تمنيت أن أسهر تحت قدميك حتى الصباح لأكون لك شهر زاد وأنت شهريار ترقص وتحيى له ليلة عرسه.. بأجمل رقصة ترقصها

عروس لحبيبها وعريسها فى ليلة الزفاف هل سيأتى هذا اليوم؟ وكم تخيلت الفرقة الموسيقية وهى تزف العروسين أنا وأنت هى تعزف لنا.. لحن ليلة العمر لحن لم يعزفه موسيقار من قبل ولم تعزفه فرقة موسيقية انه اللحن الذى يعزفه قلبانا والكلام الذى تغنيه شفتانا له قوته الخاصة ولا يقرؤه إلا العاشقان فكيف نلتقى بالواقع الذى تسميه أنت المستحيل..

توءم روحى.. أنا أحيا معك فى عالم جميل لايراه إلا أنت وأنا.

توءم روحك .

«هيام»

كانت الساعة تقترب من الثالثة فجراً نهض ليستريح ولو إلى ساعات كانت الرسالة لاتزال معه ومازال يسمع صداها فى كل لحظة حتى عندما استغرق فى نومه بعد يوم جميل..

*****

فى الصباح كان هناك جندى من جنود القوات المسلحة يقف أمام الباب يحمل له ورقة استدعاء حيث يطلبه الجيش المصرى لخوض حرب جديدة خارج القارة إنها حرب تحرير الكويت.. فتح الورقة وقرأ الاستدعاء ارتدى ملابسه بأقصى سرعة فى ساعة

زمن كان فى قلب وحدته العسكرية بمنطقة الهرم.. كانت التعليمات شديدة وقاسية وقف القائد فى منتصف الجنود والضباط قائلا: إنكم تعرفون جيداً أن العراق احتلت الكويت منذ أسابيع قليلة وأن مصر تقف بجوار الحق العربى وفى عودة دولة الكويت حرة أبيَّة وعودة شعبها لها.. سوف يغادر مصر على مدار أسبوعين.. عدد من الجنود المظليين إلى أرض المعركة إلى الكويت لتشارك مصر ضمن قوات التحالف لتحرير الكويت الشقيقة من غزو العراق.. انصراف للاستعداد للسفر.. لم يحس هشام إحساس البطولة منذ أن تقدم للخدمة الوطنية مثل هذه المرة.. فقد كان هناك أمل جديد يولد فى صدره فقد كان يحب الكويت، فعدد كبير من أسرته يعمل هناك إضافة إلى أن الكويت هى بلد العطاء وبلد الخير فعلى الرغم من صغرها جغرافياً ولكنها كبيرة بعطائها فى كل أرجاء مصر هذه ترع وقنوات شقت باسم سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح وهذه مساجد بنيت من أهل الخير وهذا بيت الزكاة الكويتى يقدم إعانات للطلاب الفقراء ولليتامى مشاريع الكويت تملأ مصر كيف يتردد.. كان فرحاً سعيدا بهذه المشاركة، كان عليه أول ما يفعله هو أن يبلغ حبيبته

بهذا الخبر الجميل راح يتصل تليفونيا بها ردت عليه.. سعادتها كانت أكبر منه قال لها فى هدوء: الرسالة لاتزال فى جيبى.. ضحكت وقالت له: وأنا كذلك.

تسلم لباسه العسكرى وأدواته من وحدته وخلال ثلاث ساعات ونصف وكان فى قلب الكويت.. راح ينظر إلى حجم الدمار الكبير الذى صنعه الجنود العراقيون بالبلدة تحسر فى نفسه ماذا استفاد هؤلاء ولماذا فعلوا هذا فى دولة ساعدتهم حتى النهاية.. كانت موقعة الدفاع بالنسبة للكتيبة التى انضم إليها على حدود محافظة تسمى الجهراء وجد العديد من القوات العربية والأمريكية والبريطانية.. أشكال وألوان من الجنود والعتاد.. كان على يقين أن هذه القوات ستسحق العدوان العراقى سحقاً مريراً فالجيش العراقى استغل المساكن وراح يختفى بين المساكن والبيوت.. ولكن عندما أعلنت لحظة حرب تحرير الكويت كان هشام فى أوائل الذين استشهدوا فى سبيل تحرير الأرض العربية من عدوان عربى غادر .

* * *

اختفت الأخبار وانقطعت عن أهل هشام وحبيبته فى وسط

فرحة العالم أجمع أن الكويت تحررت وأن معظم الجيش العراقى قد سلم نفسه أسرى حرب لقوات التحالف .

الكويتيون بدأوا يعودون إلى بلادهم والأفراح تملأ الدنيا - والاعلام والحفلات ويبقى خبر عودة هشام إلى أهله غامضاً إلى أن وصل الخبر عبر القنوات الرسمية وقرأت هيام فى الصحيفة خبر استشهاده فراحت تردد فى بكاء متواصل أوتار الحزن تعزف عشقاً ..



مهمة سرية

مهمة سرية

● ● أغلقت السيدة «كريمة» باب شـقتها بإحكام وهبطت على أطراف أصابع رجليها إلى الدور الأرضى بإحدى عمارات المدينة القـديمة وراحت تلتـفت يمـينا ويسـارا لتطمـئن ألا يراها أحـد من السكان وتحسست صدرها بعد أن وضعت فى داخله مفتاح الشقة ليسهل لها مهمة العودة.. ومرت ساعة كاملة على هذه المهمة فقد خـرجت فى تمام التاسـعـة والآن وهى تتجـه إلى العـمارة القـديمة تسمع دقات سـاعة جامعـة القاهرة من مذياع أحد مـقاهى شوارع المدينة... وبنفس رحلتـها فى الذهاب كانت فـى العودة.. أدخلت مفتاح الشقة وراحت فى هدوء تضغط بأصـبعيها السبابة والابهام وتحاول أن تكتم صوت المفتاح حتى لا يحدث صوتا.

وتنفست الصعـداء.. بعد أن أنهت مهمـتها الأسبوعـية السرية الصعـبة وأخرجت ورقة مـالية من فئـة العشرة جنيـهات لتضعـها تحت رأس زوجـهـا المريض لينفق منهـا طوال الأسـبـوع فمـرتبـه لا يكفى تكاليف العلاج بعـد أن حرمته المصلحة الـتى كان يعمل بها من الحوافـز والأجور الإضافية نظرا لمرضـه المزمن الذى أقعده عن الحركة، ليتغير حاله وليصبح معظم دخل الأسرة يصرف على علاجه.. فى هذه اللحظة لم تنس السيدة كريمة أن تلقى نظرة على

حجرة ابنتها «نهال» الطالبة بالثانوية العامة وعلى أخواتها سامح ونيفين ومنى.. وعادت تنظر فى المرآة وتمشط خصلات شعرها إثر هذه المهمة الشاقة وأحدثت مقارنة فى قرارة نفسها وهى تنظر فى المرآة هل خرجت بهذا الشكل. وراحت تسترجع شريط ذكرياتها حين كانت أجمل فتاة فى مدرسة إبراهيم باشا بإحدى قرى محافظة الشرقية، وكيف كان يتمنى أى طالب أو حتى مدرس الفصل أن تكلمه.. وانتقل شريط الذكريات إلى يوم ان جاء أبو نهال عريسا ليخطبها، ويومها كان موظف الحكومة تتمناه أى فتاة ووالدها الشيخ العجوز عندما وافق مقدما ليضمن مستقبلا مشرقا لابنته وعيشة رغدة ليس بها مشاكل ناهيك عن شقة لابنته فى أهم حى من أحياء القاهرة «حى السيدة زينب» رضى الله عنها.. وتذكرت يوم أن انتقلت إلى القاهرة وأعجب بها كل من شاهدها، فجمالها من الجمال الطبيعى الأخاذ فلم تستخدم المساحيق أو الألوان طوال فترة زواجها، وحتى هذه اللحظة كانت جميلة بكل ما تعنى الكلمة وجمالها من النوع الهادئ ــ البياض الصافى ـ العينان الرائقتان العسليتان، وشعرها الساجى الأصفر الذى امتد طوله لمنتصف قامتها، رموشها الجميلة الطويلة، هذا بالإضافة لقوامها الجذاب وأنوثتها التى لم تذهب مع هذا العمر

وهذه الحياة الزوجية التى اقتربت من العشرين عاما بحلوها ومرها.

وفى الوقت الذى تستعرض هذا الشريط الجميل الذى يزيل عنها السآمة والملل كلما ألم بها ضيق أو أحست بلحظات يأس، فجأة دخلت عليها ابنتها نهال ونظرت فى وجه أمها نظرة فاحصة «ما بك ياماما». بحركة سريعة أدارت الأم ظهرها لابنتها وراحت تعبث فى أحد الأدراج التى أمامها مفتعلة انها تبحث عن شئ فقدته وتجاهلت سؤال ابنتها بسؤال لها قالت: ياترى عاملة إيه فى المذاكرة يانهال؟ بابا خايف عليك ونجاحك سوف يخفف عليه مرضه!! ومع إجابة نهال المقنعة إلا انه بقى هناك معها سؤال حائر، عندما عادت إلى مكتبها فتحت أحد الكتب وراحت تفكر فى شكل والدتها هل هذه أمى، الوجه أصفر العينان الجميلتان زائغتان؟ الضعف يسيطر عليها. وأغلقت باب تفكيرها إلى إحدى زوايا الظنون، لأن أمها سيدة تتفانى فى خدمتهم لم تكل ولم تمل يوما من خدمات أبيها التى لاتنتهى إذن لماذا هذه الزيارة أو المهمة التى تقوم بها الأم دون أن يحس بها أحد وان كانت نهال قد قررت أن تراقبها فى المهمة القادمة.

.. جاء الموعد الذى تخرج فيه السيدة كريمة، إنه مساء الأحد

من كل أسبوع وفى تمام الساعة التاسعة مساءً.. انشغلت نهال وافتعلت أنها مهمومة ومشغولة فى استذكار دروسها وبالفعل تحركت الأم فى هدوء، بعد أن ألقت نظرة على نهال، وبعد لحظات تحركت خلفها نهال.. وعلى بعد أمتار تكفى بعدم كشف مهمة التجسس على الأم فالأمر يحير.

استقلت الأم تاكسى.. واستقلت نهال تاكسى آخر وقالت له: خلف هذا التاكسى دون أن يلاحظ السائق الأمامى.. فسألها السائق: هل هى مغامرة عاطفية أو مطاردة لص.. ردت نهال بتجهم: ليس دخلك! وسكت السائق وتوقف التاكسى الأمامى ونزلت الأم.. ثم نزلت نهال وانصرف السائق.

اتجهت الأم نحو الباب الخلفى لأحد المستشفيات الكبرى بالمدينة.. دخلت الأم.. فى طرقات طويلة تكاد تكون شبه مظلمة فالمكان صمته يخلق شيئا من الخوف والرعب. ومع دقات صوت حذائها ترتفع دقات قلب نهال.. أين تذهب ماما فى هذه الساعة ان المكان ليس به أحد اللهم على البعد غرفة مضاءة دخلت الأم الغرفة وأغلق الباب.

انتظرت نهال.. مرت لحظات.. ودقائق كأنها دهر.. الخوف يملأ قلب نهال والحزن أيضا وأفكار سيئة وحزينة ماذا تفعل أمى؟

هل هى على علاقـة مشينة بأحـد الأطباء هل هذا هو سر قدومـها كل أحد لهذا اللقاء العاطفى.. المثير؟!

وفى وسط هذه الدوامة والهواجس المختلفة خرجت الأم تحمل فى أحضانها مـجموعة من معلبات العـصير وفى يدها مظروف به مـبلغ من المال قـيـمـة مـا تبـرعت بـه من دم لمركـز التـبـرع بالدم بالمستشفى احتضنت نهال أمها وراحت تبكى وتقبل يدها وتردد.. حقا أنت كريمة ياماما.. وقبلت يدها ورجعت معها إلى البيت.



الرحلة

« الرحـلة »

● أفاق ياسر من غفوته القصيرة وفرك عينيه مغتاظا وهم يتمتم بسباب خـافت لذلك المتطفل الذى عكرعليه صفاء نومتـه الهنيئة بالقطار.. وذلك بعد أن سـهر ليلة طويلة حـتى الصباح يسـترجع فيها ذكريات الأعوام السابقة عن الاسكندرية عروس البحر وعن تلك الرحلة التـى ينتظرها مع أصـدقـائه كل عام.. وفـتح عـينيـه بصعوبة ليرى وجـها صبوحا فتانا يطالعـه وعينين رائعتين ترنوان إليه فى خبث..

فاعتدل فى جلسته وزمـيلته الحسناء تهمس فى صوت شجى: أظنى ضايقـتك شيئـا ما! ثم أرسلت ضـحكة خافتـة رقيقـة قال: «لايافندم العـفـو» ثم أصلح من جلسـته وامـتـدت يده ترتب من هندامه الذى أفسدته ضجعته القصيرة، واستلقت زميلته فى كسل على المقعـد الجلدى ووضعت ساقـا فوق أخرى وأخـرجت مجلة نسائية وراحت تقلب صـفحاتها وتسرق مـن خلالها بين اللحظة والأخرى النظرات إلى رفيق الرحلة.

كـان لا يزال بجانبـهمـا مكان خال.. فـجأة اندفع إليـه رجل ضـخم الجسم ألقى بنفسه عـلى المقعـد وبوغت ياسر وفـزعت الفتـاة وأخذت هذه الكتلة من اللـحم تلهث وكأنهـا ثور مذبوح

وراح الرجل يمسح عرقـه بعد أن ارتسـمت على وجهه عـلامات الارتياح بعـد عثوره على مكان.. وانكمشت الفـتاة فى شىء من الخوف والاشـمئـزاز وعادت العـبوسـة تظلل وجه ياسـر والقطار يطوى صـدر الأرض وخيم علـيهـما جـو من الصـمت لولا تلك الأنفاس الغليظة التى راح يطلقهـا الرجل بعد أن نام وتبودلت بين ياسر والفـتاة نظرات فيهـا معانى التـبرم، ولكن الرجل لم يكتف بهذا النوع من المضـايقة بل استيـقظ يسأل ياسر فى أشـياء ليس له علم بها.. وجاءت محطة مدينـة بنها وانزاح الكابوس وصفا الجو لهما.

وتلاقت الأعين مـرة أخرى وابتسـمت مرتاحـة وابتسم راضـياً وأشـعل سيـجارة وبدأ نظراته الـشرهة تحـملق فى ذلك المخلوق الملائكى البـديع وراح ينتـقل بنظراته إلى العـينين السـاجيـتين إلى فمها، ومن عنقها البللورى إلى صدرها الناهد إلى قوامها الرشيق وثيابها الأنيقة الفاخرة، وهى تقابل نظراته الملتهبة بابتسامة الرضا.. وفى هذه اللحظات لم ينس ياسـر أصدقاءه وهم مـعه فى نفس عـربة القطار راح يلقى عليـهم نظراتـه حتى لايـعكر صفـوه مـرة أخرى، فهذا صهيب يطالع صحيفه قومية وأخرى معارضة، وهذا مـختـار فى حـديث عمـا تفـعله الرحلة فى نفـوسهم من راحـة وسكينة وهدوء، وهـذا الوجـيـه السـيـد حـسين يسـتـرسل فى

الحديث عن ضرورة غسيل هموم العام بهذه الرحلة السنوية و«اسكندرية بحر» وهذا علاء الدين يفكر فى إجازته من البنك هل سيوافق عليها ؟.

اطمأن ياسر وعاد يتأمل الحسناء كانت «اسبور» بكل معنى الكلمة وفاتنة إلى أقصى حد.. قالت والقطار يطوى صدر الأرض: ما أثقل هذا الانسان الذى كان يجلس هنا.. رد ياسر بشوق للحديث: بل لعله حيوان ولا أدرى لماذا أفلت من عربة الحيوانات المخصصة له بالقطار.. أعجبتها العبارة فضحكت مقهقهة وضحك معها وكان ياسر بطبعه ظريفاً طريفاً للحديث حلو الدعابة يطرفها بكل ماهو ممتع ويتحفها بكل ماهو رقيق.

ومضى وتشجع ياسر بعد دقائق أن تقبل منه ذلك المشروب المثلج فالجو يشتد حرارة فى وقت وجب ذلك فأجابت مبتسمة.. وأخذ ياسر يرسم لنفسه تصورا من الأحلام والخيال وأحس أن إجازة رحلة هذا العام ستكون مليئة بالمخاطرات الغرامية اللذيذة التى طالما قرأها فى القصص.. وطالما تمنى أن يكون أحد أبطالها ثم انتبه لنفسه.. وعاد يغازل جارته مرة أخرى فى مهارة ويداعبها فى رفق وهى منشرحة مسرورة ترد عليه بأرق منه وتجيب على نظراته بنظرات أحلى لتزيده لهيباً وشوقاً.. ووقف القطار بطنطا

وشاء حظهما بعد أن تحرك القطار أن يظلا وحيدين فقد كان ياسرخائفا من أن يأتى شخص آخر.. ولكن انشرح صدره عندما تحرك القطار..

تتطور المسألة من الغمز والايماء إلى الجهر والتصريح وعرف أنها طالبة بكلية الآداب واسمها نهاد وانها ذاهبة لتقضى عطلة الصيف مع خالتها بنفس المنطقة التى ينزل بها ياسر «كامب شيزار» يالها من صدفة جميلة وأقدار غريبة وجاءت المحطة الأخيرة وهى الاسكندرية وقف القطار وبعد النزول مدت يدها مسلمة فنظر إليها متألما.. ألا تدعينى أوصلك إلى المنزل فى نفس الطريق! وفكرت لحظة ثم قالت.. لا بأس..

وجاء التاكسى وقالت للسائق ٩ شارع المؤيد - كامب شيزار.. قال يا إلهى أنت تقيمين فى نفس الشارع وجلس ياسرمفكراً كيف يفلت هذا العصفور الجميل من يده ثم انتبه وقال: متى نتقابل؟ وأين؟ قالت هذا هو رقم التليفون والعنوان.

قال لها انتظرى منى رسالة.. فى الغد وبعد أن ذهب لمسكنه جلس فى ركن منعزل وراح يسطر هذه الرسالة.

محبوبتى : نهاد الآن يا فتاتى عرفت معنى الحياة لأنى عرفتك وتذوقت طعم السعادة لأنى أحببتك وأدركت سر الجمال وسحره لأنى أصبحت صريع حسنك وأسير فتنتك وأحببت الاسكندرية

لأنها كـانت سبيـلى إليك وعشقت القطار لأنـه كان واسطتى إلى لقائك وأنا فى انتظارك يوم الجمعة القادم فى الخامسة مساء.

وعلى الفور ذهب وأعطى الرسالة لحارس العمارة التى تسكن بهـا نهاد ولـم ينس أن يدس فى جـيـبه ورقـة ماليـة من فئـة نصف الجنيه.

مـر عليه يوم ثـقيل وفى الموعـد المحـدد ذهب ووقف فى نفس المكان الذى حددته واقـترب منه رجل وتقـدم فى وقار كان كـهلا أحمر الوجه يبدو من منظره أنه من كبار صغار الموظفين، وقال له: أظن حـضـرتك الأستـاذ ياسـر وحـضرتك بـالطبع الذى أرسلت الخطاب مع حـارس العـمـارة لابنتى نهـاد.. والتى هى غـيـر أهل لغرامك السـافل.. ثم قذف بالخطاب فى وجـهه وانصرف.. تغـير وجه ياسر وتمنى أن تبتلعه الأرض ثم عاد يجر قدميه.. وفى سكنه التقى والأصـدقاء وعرفوا السبب فـقد كانوا يراقبـونه عن كثب.. راحوا يـتهكمـون عليه ويقـذفونه بالعـبارات الثـقيلة. ومـع مرور الوقت ضاق بهم ذرعاً ولن يتحمل هذه السخافات الضاحكة ففى الصباح الباكر حمل حقـيبته واستقل أول قطار إلى الزقازيق. وهو يلعن هذه الرحلة!!



وظائف خالية

وظائف خالية

● الجو شديد البرودة أكاد أن أتجمد من شدة البرد، لم نشعر بهذه البرودة من قبل ولا ندرى ما هو السبب.. هل هو ثقب الأوزون؟ أم حرب الخليج؟ أم ارتفاع أسعار الملابس الشتوية؟

أم أنه «غضب من الله» كما قال الشيخ عبدالرحمن أبو ندا مؤذن المسجد الكبير فكثيراً ما يكرر هذه العبارة: عندما يعصى العباد ربهم يشتد غضب الله عليهم فيسلط عليهم برودة الجو أو يسلط عليهم من لا يخافه ولا يرحمهم..

ومع هذه البرودة وهذا الجو اللا معقول اتجه فى طريقى دون توقف باحثاً عن عمل أو وظيفة من الوظائف الخالية.. لقد مرّ علىّ الآن ساعات وساعات وأنا أنتقل من شركة إلى شركة ومن مؤسسة إلى مؤسسة أشعر بتعب فى قدمى.. انها ثقيلة.. أتخيل أننى أحمل فى كل قدم كيسا من الرمل ومع ذلك إصرارى يزداد فى البحث عن وظيفة.. الشوارع فى القاهرة.. العاصمة العامرة.. مزدحمة بالمارة من أشكال وألوان وأجناس البشر المختلفة.. أزياء ولافتات ومحلات.. وجوه عابسة جافة ووجوه مسرورة.. بشوشة ووجوه بين هذا وذاك.. أقدام مارة سريعة وأقدام بطيئة تحمل فوقها أعمارا مختلفة انها خطواتنا فى الحياة (خطوات كتبت علينا

ومن كتبت عليه خطى مشاها» الله يرحم قائل هذا البيت..

تلوث البيئة هنا يبلغ مداه. فالضجيج والأصوات المزعجة كأنهما سيمفونية موسيقية لم تكتب بعد سجلتها الطبيعة بأصوات نشاز وبآلات مختلفة شرقية وغربية آلات بدائية وآلات حديثة لا يستطيع المرء أن يميز شيئا من هذه الأصوات مازلت أسير فى إصرار وعزيمة وكأنى لا أبحث عن وظيقة وإنما أبحث عن الحقيقة.. ولعل الباحث عن الحقيقة يهتدى إليها فالملكوت كبير وكله دلائل على وجود مبدع.. سبحان من جعل فى كل قلب ما يشغله «سبحان الله».

أهم ما يلفت نظرى ودهشتى أو يخفف عنى حدة البرودة أو شدتها هو منظر هؤلاء النسوة وهن يلبسن ملابس خفيفة ولا أدرى هل هذا عن عمد أم إنه نقص وعجز فى أنواع تلك الأقمشة المستوردة أو ربما الحصص التى تقررها الدول المصدرة للدول المستوردة لا تكفى حاجة النساء عندنا، على أية حال لم انتبه فقط إلى تلك الملابس القصيرة والشحيحة والتى تسمى مثل المينى والماكسى وفوق الركبة وتحت الركبة إلى آخر هذه المسميات، لكن الذى شد انتباهى أكثر تلك المساحات العارية والجميلة من أجسادهن فكيف يتحملن هذا البرد القارص، أعود

واستغفر وأتوب لهذه النظرات غير البريئة ثم أواصل اصرارى فى السير بحثا عن وظيفة..

تورمت قدماى فمنذ أن خرجت من القرية متجها إلى المدينة «العاصمة» وأنا أحلم ألا أعود إليها إلا موظفاً مثل السيد أفندى أبوحسين من كبار الموظفين والذى يعمل بالقاهرة ويسكن بجوار السيدة زينب.. وكيف أعود إلى القرية وأنا أحمل كل هذه الشهادات تحت إبطى سوف يضحك علىّ الفلاحون حين أعود بخفى حنين ولماذا أضعت كل هذه السنوات من عمرى دون جدوى؟ فلقد حصلت على الشهادات الابتدائية متفوقاً على أكثر من خمس مدارس وفى الاعدادية كنت من العشر الأوائل على المدرسة ولا أدرى كيف حال باقى المدارس وفى الثانوية العامة حصلت فوق الثمانين بالمائة والتحقت بكلية الآداب قسم فلسفة وحين التحقت بهذا القسم راح الفلاحون يتهكمون علىّ.. قائلين.. فلسفة فلسعة أم فلفسة ؟! كانوا يضحكون. ويقولون اننى سوف أتخرج فيلسوفاً أو بالأحرى أستاذ فلفسة هكذا ينطقونها ولا أرى هل هذا ما وصلوا إليه من علم انهم بجهلهم يسخرون من المتعلمين أمثالى..

تخرجت من الجامعة والتحقت لتفوقى بقسم الدراسات العليا.. ومع ذلك أشق طريقى فى الحياة.. نعم اننى الآن أشق

طريقى فى الحياة ليس أمامى أية صعوبات سوى هذا الحذاء الذى أبى أن يستكمل السير.. فى هذه الرحلة الشاقة.

أتحسس أوراقى وشهاداتى وأستريح لحظات أخرج المظروف وأتفحص أوراقى هذه شهادة الخدمة العسكرية بدرجة قدوة حسنة وهذه الصور الشخصية ٦ صور مقاس ٤ × ٦ وهذه صحيفة الحالة الجنائية والحمد لله بها خاتم بخط واضح فى برواز أسود «لاشيء» وهذه شهادة حسن سير وسلوك موقعة من اثنين من الموظفين لا يقل راتبهما عن ثلاثين جنيها وهذا طلب ممهور بتوقيعى الجميل الذى كثيراً ما تفننت فيه..

أغلقت المظروف ورحت أستكمل سيرى نعم أن حسن السير والسلوك وكل شيء لم يتبق لى إلا الوظيفة.. وأنها لقادمة إن شاء الله.

لم أنس كلما تقدمت إلى وظيفة يسبقنى إليها الفتيات الجميلات ويفزن بها ومرّ على تخرجى الآن أكثر من ست سنوات ولازلت أملك الإصرار فى البحث عن الوظيفة لم أنس المثل الشعبى الذى قالته لى أمى عند خروجى وهى تودعنى على محطة القطار اتق الله.

الآن أسير فى شارع الملاهى شارع الهرم سأحاول ربما أن أجد وظيفة فى العلاقات العامة فأنا أحفظ كثيرا من الشعر والحكم

والأمثال وأسلوبى كما يقول الأصدقاء دبلوماسياً بالاضافة إلى شكلى الذى اتصف بالوسامة عن باقى اخوتى.

الحمد لله لم يسألنى حارس الملهى عند الدخول عن التذكرة ربما لوجاهتى - أو ربما لحمل بعض الأوراق كالشخصيات المهمة على أية حال أنا الآن فى قلب الملهى الراقصة ترقص والمطرب يغنى والناس يتمايلون لعلى ألتقط أنفاسى الآن وأجلس على هذا الكرسى وفجأة ارتفعت الأصوات وقامت معركة حامية الوطيس بين أحد المعجبين بالراقصة وطاقم الحراسة بالكازينو.. وأخيراً استيقظت من نومة غير هادئة على السرير الأبيض وحولى ممرضات هكذا يبدو اننى بأحد المستشفيات..

ويجلس بجوارى مسئول النيابة وكاتب عسكرى..

«س» ما قولك فى الاعتداء على الراقصة ميمى كمال بأحد زجاجات البيرة.. مما أحدث بها عاهة مستديمة ثم كتب «ج».

وقبل أن أنطق بكلمة دخل شرطى تمام يا أفندم وجدنا على مسرح الجريمة أوراقاً للمتهم بحسن السير والسلوك..



العزف على أوتار الجائزة

العزف على أوتار الجائزة

● الباقى عدة أيام وتظهر النتيجة، إنها نتيجة من نوع جديد، لقد تعودت أن أنتظر النتيجة آخر كل عام عند مشارف قريتى، حيث كان يحملها إلىّ عامل المدرسة، ولكن هذه المرة سيعرفها الناس فى وقت واحد سيسمع الناس اسمى وعنوانى، سوف تبتسم مذيعة التليفزيون وهى تعلن أسماء الفائزين، سيسبق الإعلان عن اسمى.. موسيقى مبهجة، تنقطع الأنفاس عندما يعلن على الملأ فوزى بالجائزة الأولى، الفرحة تغمرنى أستعيد النبأ «الفائز الأول عادل عبدالصادق، فاز بالجائزة الأولى وقدرها عشرة آلاف جنيه» طار الخبر يملأ الدنيا كانت له فرحة من نوع خاص عند أهالى قريتى، لقد سمعوا الاسم والعنوان أم رماد، الزقازيق محافظة الشرقية، يا إلهى سوف أصبح غنياً إنها الجائزة الأولى، إنها عشرة آلاف جنيه، إنها ليست مبلغاً هيناً، صحيح أن الأسعار فى ارتفاع دائم وأن المبلغ لم يعد ثروة أو شبه ثروة، كيلو اللحم بتسعة جنيهات وأحياناً يصل إلى ضعف هذا الرقم، المقدم لشقة متواضعة يتعدى نصف الجائزة المرتقبة، ثمن الكيلو من الفاكهة يقضى على كل مافى جيبى من نقود ورقية وفضية، ولكن قيمة الجائزة ستدخل بى دائرة الأثرياء، كمن ينتظر خاتم سليمان منذ

مدة، وهاهى الثروة والنعـمة لقد مرّ بى الطيف كثيـرا وأنا أستيقظ على أننى الفـائز الأول ولكن هذا حلم، وهل يكون الحلم كـاذباً؟ نعم قد يكون الحلـم كاذباً، إنها إذن رؤيا!! الرؤيا صـادقة والحلم كاذب، لقد رأى سيدنا يوسف عليه السلام رؤيا وقصها على أبيه، وقـال له «لا تقـصص رؤياك على إخـوتك». وتحـقـقت رؤياه إن إخوة يـوسف كانوا يكيـدون له، ولكن إخوتى يتـمنون تراب هذا المبلغ بل سيفرحون به.

تأكـدت من غطائى وطهارتى وصـلاتى للعشـاء جمـاعة قـبل النوم، ورحت أسـتعـيد خـيوط الطيف من جـديد، وأتساءل مـاذا سأفعل بكل هذا المبلغ، أأودعه فى شركة من شـركات الاستثمار، ومـاذا لو أفلست هـذه الشـركـة فـجـأة أو هرب مـجلس الإدارة للخارج، لقد جاءتنى الآن فكرة سـوف اشترى بالمبلغ قطعة أرض كما فعل صديقى على أمين وأتركها عدة سنوات ليرتفع ثمنها إلى الضعف، وماذا لو كـان البائع محتالا؟ ومن الذين «يـبـيعون الوهم فى خــرائط» وبهـذا الوهم ألـف وأدور فى الأقـسـام والمحــاكم والقضاء لتصبح النتيجة فى النهاية قضاء وقدرا!!

يا إلهى لـقـد سـمـع لصـوص المنطقــة اسـمى ســوف أطارد سيـرسمون لى الخطط والحـيل والابتكارات لإيقاعى فى شبـاكهم يوم أن أتسلم هذا المبلغ من مـاسـبيـرو، سوف تشـاركنى أفكارى

صغيـرتى «نهى» لقد أتت إلىّ الآن كما جـاءت لى الجائزة، تعالى ياقدم السعد، تعالى يا...

قالت : تظهـر كأنك وقعت على كنز، قلت لهـا: معك أحس دائمـاً هكذا، ضحـكت وفتـر ثغـرها عن أسنان بيـضاء كـاللؤلؤ، وتمتـمت : دائمـا أنت مجـامل، تركـتـهـا تتصـفح أوراق جـريدة ونظرت فى سقف الغرفة مازالت بقايا الزينة القديمة المعلقة من يوم عيد ميلاد محمد، الألوان مازالت زاهية جميلة رغم مرور شهور، تتداخـل فى بريق سحـره أكبر من كل جـائزة، وفجـأة!! توقظنى زوجتى أمـيمة دون أن أمـسك بخيوط رؤية الصـبح الجديد، وهى تهتف فى براءة : صح النوم .

وقبلتهـا قبلة حانية وأنا أمـسح على جبينها الوضـاء ما بقى من رؤيا الأمس.



امـرأة مشـفـرة

امرأة مشفرة

● تميزت هيام بأنها امرأة جميلة ذات ابتسامة صافية وكلام ناعم وصوت ساحر وعيون جذابة وقوام ممشوق.. تسير فى خطوات موسيقية تتعمد أن تتفاعل معها الأرض فى خطواتها مع خطوات حذائها اللامع لتبدو مفاتنها.. وعند التحدث مع هيام تجد كلماتها رقيقة مرتبة ومهذبة وكأنها تقرأ نوتة موسيقية ولاتنسى أن تعتدل بين الفترة والأخرى لتضع ساقاً على ساق لتظهر مواضع الجمال فى ساقيها.. لقد كانت هيام تحلم منذ نعومة أظافرها أن تكون مدرسة وتحققت أمنيتها وتخرجت فى جامعة المنصورة كلية الآداب قسم اللغة العربية وأثبتت جدارتها فى بداية حياتها العملية فكانت قريبة من الزميلات والطالبات إلى آخر هذه التركيبة المدرسية وفجأة ظهر فى عالم هيام مدرس اللغة الانجليزية «محمود العكش» كانت دائما مستاءة من لقبه وكأنه اسمها هى، كانت تقترب منه أحياناً ثم تبعد تبتسم ثم تتجهم.. تضحك على أى كلام له ثم تبكى على أى حدث لإحدى الزميلات.

ولأن محمود مثله مثل باقى جيله كان قد أتى إلى العاصمة المنصورة من أطراف قرى ونجوع المحافظة يتطلع خيراً فى العاصمة حيث التدريس والدروس الخصوصية.

فى وقت الراحة بين الحصص كان يتعمد محمود العكش أن يتقرب من هيام ولكنها كانت تعرف انه ليس هو فقط الذى يريد أن يتقرب منها ويطلب ودها وصداقتها بل قد يتعجل الأمر ويطلب يدها من أسرتها الكبيرة التى يملأ صيتها أرجاء المحافظة.. فهذا رئيس الجامعة وذاك لواء بالقوات المسلحة وآخر عقيد بالداخلية إلى آخر هذه الوظائف المحببة للعائلات.

كانت هيام تعرف رغم حب الجميع لها حب محمود العكش ولكنها كانت ترفض قريته واسمه وأسلوبه فى الحديث وطريقته فى الشرح وتسخر من كل تحركاته تقريباً فيظن هو أنها لاتريد أن تراه إلا أنها فى كل مرة عندما يدق جرس انصراف الطلاب تطلب منه أن يرافقها حتى مدخل شارعها وكان يتحامل على نفسه فى سبيل أن ينال رضاها .

مرت الأيام والشهور والحال على ماهو عليه بعد أن يدق جرس انتهاء اليوم الدراسى تنتظر هيام الأستاذ محمود العكش ليوصلها حتى شارعها الذى يبعد عن المدرسة قرابة النصف ساعة كانت تخدعه انها تمشى من أجل رياضة المشى وهو يوافقها على كل شىء بعد أن دخلت قلبه وفى يوم كان هناك احتفال بعيد المحافظة.. وكان على جميع الطلاب الذهاب إلى ستاد الجامعة لمشاهدة مهرجان الاحتفال بالعيد الوطنى للمحافظة ففى أدب جم

وعلى استحياء عرض محمود على زميلته هيام أن يذهبا إلى إحدى كافتيريات المدينة لقضاء ساعة من الرومانسية الجميلة والحديث عن المستقبل الذى يأمله ولا بأس فى التحدث عن حياة زوجية جديدة وإنجاب أطفال وتنظيم الأسرة والسكن فى المدينة والبعد عن القرية وراح بعد أن وافقته هى على هذا الموعد الذى انتظره لشهور طويلة أن يعد كيف يتحدث إليها وبم يبدأ.. هل سيقول أنه أحبها منذ أول لحظة رآها فى فناء المدرسة أم يخفى هذا الحب عنها لتقول هى كل هذه الهواجس طافت برأسه وهى فى طريقه إلى كافتيريا أضواء المدينة القريبة من محطة السكة الحديد البعيدة عن شارع هيام.

اختار الزميلان ركناً هادئاً وحضر الجرسون وطلب هو كوباً من الليمون ليخفف حدة حرارته وطلبت هى فنجانا من القهوة التركى.

وبدأ يبتسم محمود وهى جامدة العواطف والمشاعر وانتظر هو أن تتحدث هي وفجأة قالت له : إيه رأيك فى حرب أمريكا على أفغانستان أليس هذا حراماً.. اختلط الحابل بالنابل فى عقل محمود يا إلهى ألهذا الحد تبعد كثيراً عن كل ما يجول بخاطرى.. تلعثم وتعثر فى أولى كلماته عندما قال لها لا نريد أن نتحدث فى السياسة فكما تعلمين أمريكا لها عيون فى كل أنحاء الدنيا -

ردت بكل فخر : احنا مش بنخاف. وإن كنت أنت من الخائفين - احنا لا نحب الخائفين فابتسم ابتسامة مصطنعة فالكلمات الأخيرة لعلها صورة من صور اختيار صفات عريس المستقبل.. يجب ألا يخاف.

بلع محمود كل ما تبقى من حلقه الجاف ليكمل حديثه : لا أنا قصدى نتحدث فى مستقبلنا.. ردت بابتسامة باهتة : أيوه مستقبل مصر فى التكنولوجيا والاتصالات والحكومة الجديدة قد ضمت وزراء كلهم على درجة الدراية والخبرة بالتكنولوجيا.

عاد مبتسماً قائلاً : أقصد مستقبلنا نحن.. ردت بسرعة البرق قائلة : لا أعتقد أننا ستصيبنا الإعارة للتدريس فى الدول العربية فلم يمر على تعييننا سوى سنوات قليلة.. عاد مجتهداً قائلاً : لا.. أقصد أنا وأنت.. صرخت : أنت إيه فاكر نفسك مين؟!

رفع يده للجرسون ليطلب فاتورة الحساب بعد أن اكتشف أنها امرأة مشفرة.



الغــروب

الغـــروب

● جلس فوق سطح منزله العتيق فى قريته الأثرية القديمة وراح يتأمل شـجرة التـوت الضخمـة، الشجرة الأم، والتى كـانت تظلل كل سكـان الحى، حى أبو هـندى، هذا الحى الـذى ينتــسب إلى الشيـخ أبوهندى والذى كثـرت عنه الحكايات فمنهم من قـال إنه أتى مهاجراً من بلاد الشام، ومنهم من قال إنه من بلاد الحجاز.. أو أنه جاء من بلاد المـغرب، المهم أنه اختـار هذا الحى ليدفن فـيه مع باقى الموتى فى مقابر القرية التاريخية الأثرية.

راحت النسمة تداعبه مع أصوات الطيور المختلفة التى صنعت أوكارها فوق الشجرة الأم وفى حى الشيخ الأب «أبو هندى» وفى القرية الأم «أم رماد» وراح يتأمل أيضـاً هذه الأسماء والأسماء لا تعلل ولكنه توقف عند اسم قـريته.. لماذا هى أم رمـاد؟ هل كانت هذه الأم لهـا ابن يسمى «رمـاد» أو لعلها ابنة تسـمى «رماد» إنـها مجرد أسماء وحكايات وتاريخ يرهق كل باحث ودارس.

الشـمس راحت تضع خيـوطاً ذهبـية مع شـجرة التـوت تخلل أشعـتها الأوراق فيـعكس وجه الأوراق اللامع هذه الأشعـة فينتج ظلا ظليلاً مع حركة الأفرع والأغصان والأوراق فتنعكس الظلال والخطوط والألوان فى شكل طبيعى جمـيل يشبه لوحة خطها فنان

مستخـدماً فيها كل الألوان، إنها لوحة طبيـعية من إبداع الخالق!!
رجع بالذاكرة إلى الوراء أو «فلاش باك» بلغة السينما، وهو ينظر يتأمل، يتعجب، يفكر، يتذكر، هذه الشجرة الأم «شجرت التوت» هى مـأوى أطفال القـرية للعب.. والمرح واللهـو.. والتـقاط ثمـار التوت، فاكـهة الفقراء، وكـان قد تمرس على صعود هـذه الشجرة وهبوطهـا بطريقة لا يسـتطيع أحد من أقرانه أن يـقوم بهذه المهـمة الصعبة والشاقة فهو يأكل ويدخر ويهز ما على الشجرة.. فيتساقط توتاً جنيا ويفرش الأولاد والبنات ثـيابهم لتسقط فيهـا هذه الثمار الجمـيلة الطعم حـتى لاتتلوث بتراب الأرض.. وعلـى بعد أمـتار قليلة.. رمق بطـرف عينيـه من أعلى الـشجـرة إلى الأرض حـيث كانت هناء فتاة جـميلة اشتد وانتصب قوامهـا.. كانت الفتاة تقف على بعـد لا تحرك سـاكناً ومع أنها كنت تتـمنى أن تجرى وتلتـقط هذه الثمـار الشهيـة إلا أنها كانت تعلم أيـضاً أنه يحتـفظ فى ثيابه بثمار خاصة لها فجمالها قد سحره منذ فترة وانبهر بها فهى تنتظره حتى يـهبط من فـوق الشجرة ودون حـديث كان يسـلمها كـل ما يملك مقـابل نظرة رضا منها، كانت سـعادته وحبه لهـذا العمل لا تعـادلهـا سعـادة لأن كل هذه الأشـيـاء كانت تخـتلج فى صـدره فتصنع شيئاً يسمى «الحب» كان دائماً يحس به كلما رآها أوتعامل معها أوسلمها حصيلة ما يجمعه من فوق الشجرة.

كان يعتقد أن ثمار التوت «خد الجميل» سميت هكذا لأنها تعطى للجميل وهى أحد أنواع ثمار التوت المختلفة الألوان ولكن «خد الجميل» كان أبيض ولذيذ الطعم، مالت الشمس إلى الغروب وراحت تدس نفسها فى هدوء انسيابى هادىء وجميل بين أعواد الحطب وبقايا المبانى القديمة لتختفى رويداً رويداً معلنة أنها تنهى يوماً من عمر الزمن.. راح يفكر ويتذكر.. وعاد يتنفس الصعداء.. حكايات وذكريات.. ومغامرات «شقاوة عيال».

ودارت الأيام والسنون وانتقل سريعاً بشريط الذكريات سنوات عديدة للأمام فقد حاول أن يرتبط بهذه القرية «مسقط رأسه» ولكنه فشل، فقد كانت طموحاته أقوى من واقعه وآماله أعرض من إمكاناته، وانبهاره بالحياة والحضارة فى المدينة جعلته يشقى من أجل تحقيق الهدف، كانت هواياته لا يسعها هذا الحى.. وهذه القرية.. فذهب إلى المدينة تاركاً.. كل شىء.. الشجرة.. التوت، الأم، الأب، الأهل والأصدقاء و.. شىء ما كان يختلج فى صدره يسمى «الحب» وهناك ارتبط بأسرة وعمل وأولاد كفاح ولم تقف طموحاته عند حد إقامته بالمدينة ولكن انتقل بحياته العلمية والعملية إلى العاصمة الأم إلى القاهرة إلى «مصر أم الدنيا» ومع انتقاله إلى أم الدنيا كان حنينه دائماً يجذبه إلى أم رماد مسقط رأسه وطنه الصغير حيث كان يعود إليها ليلتقى وأهله

وأصـدقاءه، وليـشاهـد بزوغ وإشراقـة الشـمس ثم ينتظر لحظات الغـروب وهو «يتـذكـر القـرية الأم والشـجـرة الأم.. والأم الأم.. والأرض الأم» ونظر إلى الشـمس وهـى تغـرب كـأنهـا تدفن مع نهاية اليـوم، وراح يتذكـر ماذا فعل فى كل هـذه السنوات، وسأل نفسه هل تحققت كل آماله وأهدافه؟؟ رفع يديه إلى السماء ليشكر الله.. وفى هذه اللحظة ارتـفع صوت الـشيخ عـبـدالرحـمن لأذان المغـرب من خلال مكبـرات الصوت بالمسـجد الكبـير.. الله أكـبر فذهب ليتوضأ ويلحق بالصلاة.



دع الملك للمالك !!

دع المُلك للمالك !!

● فى صباح ذلك اليوم الجديد نزلت صابرين إلى درج السلم فى العمارة الكبيرة إلى الممر الضيق الذى امتلأ بأبخرة الطعام ورائحة العفن والرطوبة وفتحات الصرف الصحى حيث امتدت يدها إلى صدرها لتفتح ذلك الباب الخشبى القديم الذى تآكلت أوصاله فأصبح بابًا موسيقياً ليزعج من يفتحه ومع هذا فتحت صابرين الباب وتحركت تجاه غرفتها الوحيدة فى هذه «الشقة» المتواضعة والتى ورثتها عن أبيها بعد وفاته وبعد وفاة والدتها فى حادث.. كانت الغرفة مظلمة إلا من بصيص من ضوء خافت عبر نافذة زجاجية صغيرة امتلأت بالزجاج المكسور وبقايا أدوات كهربائية تالفة وأوراق وأتربة ولفافات ورثتها دون أن تدرى ماذا بها ؟!

تنهدت فى صمت وهى تجلس أمام التليفزيون القديم والذى لاتظهر منه ألوان سوى الأسود والأبيض وهى راضية قانعة بعيشتها وحياتها المتواضعة.. وعندما انتصف النهار وظهرت أشعة الشمس لتخترق شباك الحجرة الوحيدة والصالة الصغيرة ودورة المياه المظلمة.. كانت تظهر تحت هذه الأشعة بقايا أثاث قديم قد أتى عليه الدهر هذا الأثاث غير المتناسق وغير المتطابق فى أوصافه

وأشكاله وأحجامه فهذا كرسى «سفرة» مبطن بألوان وورود وآخر مرسوم بزيتى وصور لروميو وجولييت وآخر ليس له شكل أو لون وعلى الجانب الآخر فى حجرة النوم الضيقة المظلمة بقايا سرير خشبى كبير قديم يكاد يملأ أركان الحجرة حتى يظن من يراه أن النجار قد صنعه داخل هذه الحجرة الضيقة المظلمة.. جلست صابرين وراحت تضع راحة يدها اليمنى على خدها الأيمن وهى تتذكر كلمات الحاج عبدالجبار مالك هذه العمارة وهذا العقار وصوته الأجش «العمارة ملكى والمالك له الحق فى طرد المستأجر إذا تأخر فى سداد الإيجار الشهرى».. هذا الصوت يلاحقها منذ أيام وخاصة بعد أن وصلها مكتوب من المحكمة لينذرها بموعد جلسة المحكمة فى القضية التى رفعها الحاج عبدالجبار بالطرد من هذه الشقة الصغيرة الضيقة التى كما يسميها هو إيجار لايتعدى الثلاثة جنيهات شيء لايساوى شيئاً يقصد هذه الجنيهات القليلة فى الوقت الذى ارتفع فيه الإيجار ليصبح فوق المئات من الجنيهات.. عادت لتفكر صابرين فهى لا تحمل أوراقاً تثبت أن الشقة مؤجرة لوالدها أو حتى لاتملك من المال ما تستطيع أن تدفعه إلى محام ليترافع عنها أمام المحكمة فقد كانت صابرين وحيدة فقيرة ليس لها من الصديقات إلا القليلات بسبب عنوستها ومرور قطار الزواج عليها مرور الكرام.. راحت تنظر فى شتى أرجاء هذه

الحجرة المظلمة الضيقة العفنة وهذا المطبخ الذى لايسع غير شخص واقف لايستطيع الحركة ودورة المياه متهالكة تخرج منها رائحة عفنة وكأن هذه الدورة هى مستقر ومحطة مجارى المدينة.. راحت تستعيد خيوط وخيال ماذا لو تم بالفعل الطرد ليست هناك مشكلة فى الأثاث فلا يطمع فيه أحد لقدمه ولا تستطيع نقله إلى مكان آخر فأجرة عربات النقل قد تتعدى ثمنه ولكن فقط حقيبة ملابسها سوف تحملها وتعود إلى بعض أقاربها فى قرية «مشتول السوق» فلربما لا يعرفها أهل القرية فهى تكره أن تذهب هناك بسبب عنوستها ورفضها الزواج ثم ماذا تعمل هناك؟ فهى لاتعرف أعمال الفلاحة مثل باقى الفلاحات ولا تجيد شيئاً سوى مشاهدة التليفزيون!!

قالت فى نفسها لاشك أن هذا الرجل الضخم صاحب الصوت الأجش سيفوز بالدعوى وسيظفر بالشقة ولا أحد ينازع مالك هذه العمارة فى ملكه وأن لديه الكثير من المعارف من ضباط البوليس والقضاة والأكابر.. ماذا تفعل؟!

إنه يسعى منذ سنوات لطرد جميع السكان الكبير منهم والصغير، يستطيع أن يقيم فى موقعها برجاً استثمارياً... ثم عادت صابرين مرة أخرى لتخاطب نفسها ماذا لو رآنى القاضى على حالى هذا ورق قلبه، أليس كل القضاة بشر ويحسون ويحملون

قلوباً مثل قلوبنا ؟ ثم ماذا لو سألنى القاضى: مع من تعيشين ياصابرين؟! وأرد عليه لوحدى ياسعادة البيه؟! وماذا تملكين؟! أملك الستر يابيه ؟

ارتفع الدم لرأسها من تزاحم الأفكار المستقبلية للخوف من الغد وأحكام القاضى والطرد من «شقة» شهدت حياتها التى تعد تعيسة بائسة إلا أنها حياة كانت تحفظها بين جدران أربع لا يدرى أحد ماذا تأكل وماذا تشرب ؟ وكيف تعيش؟!

وسط هذه التخيلات المتلاحقة والمتزاحمة فى رأسها شق سكون العمارة صرخة هزت أركان الجدران.. هذا الصراخ والعويل وضرب الخدود يخرج من شقة الحاج عبدالجبار.. فتحت صابرين الباب فتحة صغيرة لتستطلع الأمر فتبينت الخبر اليقين.

لقد مات الحاج عبدالجبار صاحب العقار.. تنفست الصعداء وهى تذهب للمطبخ لتضع غداء اليوم وهى تقول : لايجوز عليه إلا الرحمة ورفعت يديها إلى السماء وهى تقول الملك لك ياصاحب الملك.. لك لوحدك.



إصابة عمل

إصابة عمل

● قبلت الدعوة الكريمة المقدمة لى من الزميل حمدى المدنى للعشاء بمناسبة عيد ميلاد ابنته الصغيرة «مديحة».. كان حمدى يسكن مع أسرته الكبيرة الوالد والوالدة والإخوة فى بيتهم بحدائق القبة.. وحدد لى الموعد فى التاسعة من مساء الخميس القادم.. ومع إصرارى الذى لا يقاوم وافقت على هذه الدعوة.. فأنا منذ أن عملت بجريدة النهار وأنا أسافر يومياً من القاهرة العاصمة إلى قليوب مسقط رأسى حيث توجد عائلتى وأهلى.. وفى الموعد المحدد ذهبت إليه متألقاً فى ثيابى ومتأنقاً ببدلتى الجديدة لأن حمدى كما يعرفه الجميع فى الجريدة التى أعمل بها كان أشيك المحررين.

ونظراً لأنه كان يقطن الشارع الرئيسى بمنطقة حدائق القبة لم أجد صعوبة فى الوصول إلى بيته وخاصة أننى قد ذهبت معه من قبل..

على أية حال وصلت فى موعدى واستقبلنى مبتسماً كعادته قائلا : مواعيدك يضبط عليها القطار.. قلت له مجاملاً : القطار أصبح يتأخر الآن.. دخلت شقته الجميلة كل شىء فيها ينم عن ذوق جذاب يقول هو أنه ذوق زوجته فى اختيار ألوان الستائر ولوحات الزينة والزهور وكلها لمسات من صنعها..

بعد لحظات دخلت زوجته وسلّمت واستأذنت للانصراف.. وبعد قليل تم تحضير العشاء حيث احتوت السفرة على كل مالذ وطاب.. فقد كنت بين اللحظة والأخرى أشكر فى السيدة زوجته وفى صناعتها للطعام بمهارة وكذلك عدد هذه الأطباق وكأنهم يعزمون فريقا لكرة القدم، استمر العشاء ساعة بالتمام والكمال وأكل «الحلو» وشرب العصائر والشاى.. وختمت بالقهوة العربية وحمل حمدى فنجان القهوة قائلا: هذا الفنجان لك.

هدأت حركة الشقة وخيم علينا السكون.. وكأننا توقفنا عن الحديث ونحن معشر الصحفيين ليس لنا عمل سوى الكلام.. هذا الكلام إما مكتوب أو مقروء أو مسموع والكلام كما قال الكاتب الساخر أحمد رجب نوعان كلام مليان وكلام مليان كلاما فارغا ضحك حمدى.. ضحكته المعهودة وقال: خالد كيف حالك؟! قلت: الحمد لله على كل حال والذى لايحمد على مكروه سواه.. قال: هل مازالت خلافاتك مع أم بسيونى مستمرة.. قلت بعد آه طويلة وصعبة: نعم.. وكأن حمدى وضع يده على جراحى وضغط فكانت الآه صرخة كصرخة طفل تعذب كثيراً بسبب هذه الحياة.. قال حمدى فى ابتسامة ماكرة.. ما رأيك نذهب إلى أم علاء (الخاطبة) لنشرب فنجانا من القهوة وفى نفس الوقت ترى لك الطالع.. وتحجز لك عروسة وشرطنا الأساسى أن تكون هذه

العروسة لديها شقة لترحمك من سفرك اليومى من القاهرة إلى قليوب وعذاب المواصلات وخلافه.. ونهض ونظر فى ساعته كانت قد اقتربت من التاسعة قال: ربما الوقت أصبح متأخراً.. قال هذه السيدة ليس وراءها شيء غير هذه الأشياء.

وخلال دقائق قصيرة كنا نعدل من هندامنا وننظر فى المرآة المعلقة فى مدخل الصالون ونستأذن من أم عماد فى مشوار صغير والعودة.

خرجنا إلى الشارع وتأبط حمدى ذراعى اليسرى وقال عش حياتك.. إلى متى ستقبع تحت تهديد الست أم بسيونى دى شايفة نفسها شوية.

بعد خطوات استمرت أكثر من سبع دقائق كنا نقف أمام بيت السيدة أم علاء (الخاطبة) كان بيتها متهالكاً من تلك البيوت شبه أثرية قد أكل عليها الدهر وشرب القهوة.. كما فعلت عوامل التعرية كل ما تريد.. فشباك الدور الأول اقترب من الرصيف والباب لايزال ضخما كأبواب أسواق الخضار وبضع بصمات يدوية بيد ملطخة بالدماء صنعت أشكالا ونقشات غريبة.. وكتابات ممزقة ظهر منها حروف واختفى الآخر وكأنها متقاطعة مثل (مبرور وذنب مغفور) وأعتقد قبل كلمة مبرور الأولى قد سبقها كلمة حج إلا أنها ذهبت مع سقوط الأمطار.

طرق الباب حمدى طرقات خفيفة فلا يزال الضوء ينير زجاج الشبابيك.

وانتظرنا.. ثم قلت له: ربما تكون خارج البيت.. قال: إلى أين تذهب فهى تبلغ من العمر سبعين عاماً.. ثم طرق مرة أخرى.. بصعوبة ظهر صوت على بعد.. يقول حاضر.. حاضر.. رفع حمدى صوته قائلا: أنا أبو عماد ياحاجة.. فتحت الحاجة أهلا أبو عماد وضيوفه.

دخلنا إلى غرفة الصالون المطلة على الشارع وأغلقت السيدة الباب.. وقالت قهوة الاستاذ إيه.

قلت: لا داعى ليس من الضرورة.. قال: أمال إزاى نشوف بختك.. أومأت برأسى بالموافقة ان هذا الكلام هو كلام فارغ وكذب المنجمون ولو صدفوا بالفاء ولو صدقوا بالقاف أيضاً.. ضحك حمدى كأنه قرأ مايدور فى خلدى فقال: ياسيدى دى تسلية قلت: كيف؟! وسكت..

خمس دقائق مرت وأنا أتأمل الصور المعلقة على حائط السيدة أنها صور ذكرتنى بصالون الحلاقة فى الريف المصرى.. ليس بينها أدنى علاقة تربطها على الإطلاق فهذه صورة للشيخ الشعراوى وبجواره على بعد سنتيمترات قليلة صورة لسعاد حسنى وصور كثيرة لفتيات أعتقد أنهن أعطين هذه الصور للمشاهدة فهى تأكل

عيشها وتتعايش من هذه المهنة .

وضعت أمامى فنجان القهوة وكوبا من الماء وكذلك الصديق حمدى.

وجلست تلهث فالسيدة من تلك الأنواع الممتلئة ذات اللحم والشحم وتتمتع بجمال أرستقراطى قديم وأظهرت عن عمد بعض خصلات شعرها على الجانبين رغم أنها كانت ترتدى الإيشارب.

بدأ حمدى الكلام قال : ياست أم علاء الأستاذ خالد صحفى فى جريدة النهار على خلاف مع السيدة زوجته منذ عشر سنوات بسبب عدم الإنجاب قال لها أن هذا الموضوع الوحيد الذى يتصرف فيه الله سبحانه وتعالى قالت: ليه يا ابنى الطب تقدم.. قال لانريد أن ندخل فى تفاصيل.. هو محتاج عروسة «متريشة».. واندهشت من أسلوب حمدى فى الكلام فكأنه يعرفها أعز المعرفة وغمز لى متريشة معناها - شقة وسيارة وعمارة وعزبة أو أى أحد هذه الأشياء.

قالت على الفور:

أجوزه ست ستها.. وضحكنا وطلبت منى تليفونى أعطيتها تليفون الجريدة والرقم الشخصى.. وكتبت فى قصاصة تليفون منزلها على حافة ورقة من علبة كبريت.. وانصرفنا فى سرور بالغ.

ورمقت بعينى لحظة الانصراف وحمدى يدس فى يدها ورقة من فئة الخمس جنيهات قلت له الموضوع ده علىّ أنا.. قال إن شاء الله عندما نرى العروسة وانطلقنا مرة أخرى كل فى طريقه.

مضى على هذا الحدث أكثر من عشرة أيام وفى صباح أحد الأيام دق تليفون مكتبى كانت على الطرف الآخر السيدة أم علاء.. قالت فى صوت مبحوح: ممكن أكلم الأستاذ خالد يا ابنى قلت لها: أنا يا أفندم خالد مين حضرتك قالت مش فاكرنى أنا أم علاء من حدائق القبة قلت: تمام.. تمام أهلا وسهلا.. قالت: إن شاء الله.. وأعادتها مرة أخرى إن شاء الله يوم الخميس الساعة السادسة ستكون عندى العروسة مال وجمال ودلال ونكمل لما تشرف وأوعى تنسى الحلاوة وأنا بشرب «بن محوج» ومع السلامة..

وضعت سماعة التليفون وأنا شارد الذهن الموضوع أصبح بجد وليس هزارا هناك عروسة قلت لنفسى.. ماذا يمنع .. على أية حال أعتبره موضوعا أو تحقيقا صحفيا تحت عنوان : (فى نهاية القرن العشرين لاتزال الخاطبة تعمل).. وانتهى الأمر.

فى عصر يوم الخميس وجدت زوجتى تصلح من شأنها وتعدل ملابسها سألتها على فين العزم؟!

قالت أنها سوف ستزور سلوى صديقتها لتبارك لها على

المولود الجـديد حيث إنهـا لم تتـمكن من الذهاب فى حـفل (السبوع).

قلت فـرصـة.. أفضل كـثيرا أن تـكون هى مشـغـولة فى هذه الظروف.

قمت أحلق ذقنى وأنظم ملابسى للقاء المرتقب..

ذهبت إلى المنزل وحدى كانت الساعـة الخامسة والنصف قلت فرصـة أتعرف أكـثر على أمـور هذه العروسـة من السيـدة أم علاء لحين حـضـور الطرف الآخـر.. طرقت البـاب فـتـحت - جلست انتظرت أحضرت لى القهوة.. قالت: لقد حدثتنى سيدة تطلب كل مواصفاتك.. طويل القامة أبيض الـبشرة يعمل فى بنك أو صحفى أو مـحـامى من هذه الوظائف الهـامـة لايهـمهـا أنه مـتـزوج أم لا ولايهمها أن ينجب أم لا هذا كلام الـعروس فى التليفون لأم علاء المهم أن تراك اليوم.. قلت: وهى ماذا قالت لك من مزاياها.. قالت لديها سيارة وشـقة وعمارات غير أنها «قمر أربعـتاشر» وضحكت ضحكة عالية قطعتها دقات رقيقة على الباب.. فقالت حاضر جاية وسـمعت قـبـلات نسـائية وأم عـلاء تقـول: أهلا بست العـرايس وتبـينت أنه صوت زوجـتى فمـا كـان منى إلا أن أنط من الشبـاك المجاور للهـرب إلى الشارع وتذكرت وأنا أجر سـاقى اليمنى التى كسرت أن تليفون أم علاء كان فى الجاكت ومكتوب عليه الخاطبة.



شـىء لله

شىء لله

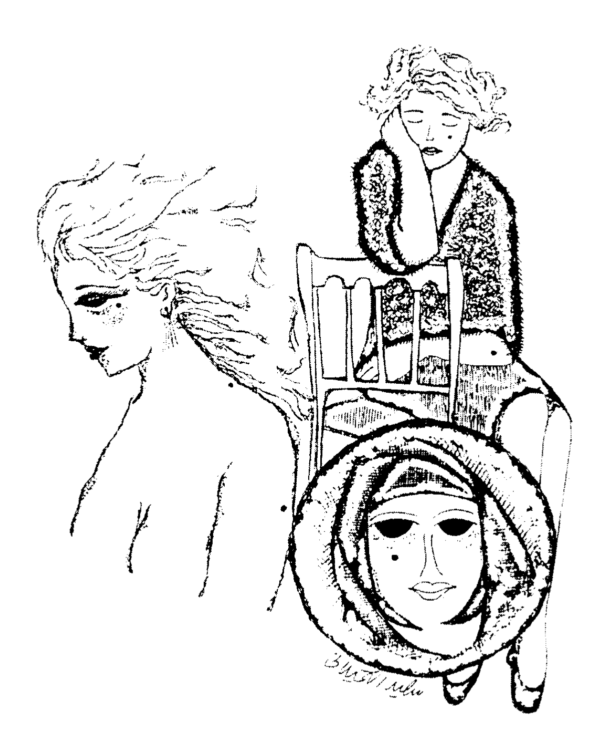
● فجـأة .. توقف الرجل أمام شـادر البطيخ مسـتمعـا لإعلان البائع المـغرى بطعم وحلاوة ورخـص سعر البطيـخ «وع المكسر » وضاق الرجل بصوت البائع المتلاحق والذى لايعطيه فرصة اتخاذ القـرار هل يشتـرى أم لا يشتـرى! وكم يكون سعـر البطيخـة من الحجم المتوسط؟

تلك هى القـضيـة.. هرش فى مـؤخرة رأسـه فالشـمس وسط السماء والحرارة شديدة ولا داع للانتـظار أكثر من ذلك.. فالعرق راح يتصبب منه، تذكر كلمات زوجـته التى حفظها عن ظهر قلب «ألم تتعبك يداك من الهز» عاش حـياة طويلة مع زوجته قد تكون سعيدة أو قـد تكون العكس مثل البطيخة لكنها في النـهاية حياة.. كانت تكرر الجملة عند قدومه ودخوله من باب الشقة: ألم تتعبك يداك من الهز؟ فـهم العبارة أخيرا وعـلم فحواها وما تقـصده إنها تريده أن يعـود اليهـا بشىء فى يديه.. انزعج على صـوت الرجل الأجش وهو يحـضن إحدى بطيخـاته اكسـر «يابيه» قـال بصوت مـرتفع لأ.. لأ.. أولا اختـار واحـدة حـمـراء وثانيـا بكم ثمنهـا ووضعـها البـائع فى كفـة الميزان وعاد يـضربها بإحـدى يديه على جنباتها ويقربها من احدى أذنيـه وكأنه يقول لها سر.. بسرعة راح يضرب أخماسا فى أسداس وقال الستة فى ثمانية بثمانية وأربعين

يعنى خمسة جنيهات وريال.. أخرج الرجل ورقة فئة العشرين جنيها متظاهرا أمام البائع ان بالحافظة أوراقا كثيرة من هذه الفئة وأعطاها له وانصرف الرجل هاشا باشا.. وكأنه حقق نصرا غاليا هاهى البطيخة تحولت من حلم وخاطرة وفكرة إلى حقيقة وتحولت من الخيال إلى الواقع لعلها ستكون أجمل مفاجأة للزوجة سوف تستريح يداى من هز اليد اليمنى للأمام واليسري للخلف وسوف تختفى جملة ألم تتعبك يداك من الهز من قاموس حياتنا الزوجية.. حمل البطيخة هاشا وباشا ومسرورا.. مال إليه أحد الشحاذين شقة يابيه.. شقة يابيه.. لعله تسول غير مقبول كيف أعطى هذا المجنون شقة راح ينقل البطيخة بيده اليسرى فى حضنه الأيسر وراح يعبث فى جيبه عن أحد القروش الموجودة فى جيبه ليسكت بها هذا الشحاذ الذى يتابعه بصرخاته وساقه وعكازه وهو يجرهما خلفه والرجل يعبث في جيوبه.. آه فجأة تذكر انه لم يتسلم من البائع باقي الورقة فئة العشرين جنيها عاد إليه وأعاد الفكة فى جيبه أصر الشحاذ على أن يأخذ شيئا لله.. سقطت البطيخة على الأسفلت ياإلهى لقد كانت حمراء.. انحنى عليها الشحاذ يجمع أجزاءها وهو مسرور.

تركها الرجل ورجع إلى زوجته فى المنزل يهز يداه اليمنى إلى الأمام واليسرى إلى الخلف.





العواقب سليمة

العواقب سليمة

● ارتعشت يد السيدة «أم أحمد» وهى تدق بلطف باب الشيخ عبده الكركور بعد أن انقطعت أنفاسها فى خطواتها المتعثرة والمتئدة سيراً من حارة أبوهندى إلى ميدان «الجميزة» بحى «السيايفة» أكبر أحياء القرية كانت تدق الباب بيد وبالأخرى تحمل رسالة مختومة بختم البريد الحربى وتمتمت فى سرها «اللهم اجعله خير» ويارب تكون العواقب سليمة.. فتح الشيخ عبده الكركور وهذه هى الصفة التى أطلقت عليه من جراء حديثه المتواصل والذى يسمعه لايستطيع أن يتبين منه إلا كلمات قليلة..

انفرج الباب الكبير بصوت موسيقى مزعج فالباب لايزال يحمل سمة الأبواب الفرعونية القديمة ونظر إلى السيدة أم أحمد بنصف عين ونصف وعى وهو يعدّل من هيئته وملابسه الرثة.. كادت أن تنفرج أساريره وهو يرى السيدة أم أحمد تقف أمام الباب فهو يعلم أن هناك رزقاً قد أتاه من حيث لا يعلم ولا يدرى.. «ارتفع صوته الجهورى افرشى الشريط يابنت» فهذه ليست أول مرة ولا آخرها يقرأ الخطاب القادم من أحمد فرج أحمد سكرانة الجندى المجند فى سلاح المشاة المصرى منذ سنوات حيث لا أحد فى البيت يقرأ أو حتى الحارة اللهم تلميذ فى بداية حياته العلمية لا يفرغ من اللعب والقراءة خارج البيت وحين يعود إلى الحارة يكون الغروب قد أتى..

على أية حـال قرأ عـبده الكركـور الخطاب على السيـدة أم أحمـد كلمـة كلمة.. فـهذه مـهنته التى امـتهنهـا منذ زمن بعيـد، فهـو يكتب البلاغات إلى عمدة القرية ومـحاضر الصلح بين المتخاصمين وهو من حفظة القـرآن الكريـم وبعض الأحاديث النبوية الشـريفة.. فهو اشـتهر بين قريتـه بنصف مثقف ونصف سيـاسى، وقد اختمـرت فكرة العمل السياسى فترة فى رأسه فقام بترشيح نفسه فجأة.. وجاءه رمز «الكنكة» فاغتـاظ.. وهاجم الحكومة وراح يبرطم لماذا اختـاروا له هذا الرمز هل هو ناقص صفـات مشينة.. على أية حـال لم يستمـر هذا الحال طويلاً فقد سـقط كلية فى هذه الانتخابات ولم يحصل على عـشرة أصوات وراح يردد بين الناس «الحكومة بتخاف المتعلمين»..

وضعت ابنته ذات الأحـد عشر ربيعاً كوبين من الشاى يـتوسطهما كوب من الماء أمام والدها وضيفـته وهو يقرأ ويرتشف الشاى بصوت مسموع ومزعج.. كان كل هم السيـدة أم أحمد أن تتعرف على أخبار ابنها الذى انقطعت منذ ثلاثة شهور تقريباً وكانت كما تقول الدموع لا تجف من على خدها..

بدأ عبده يقرأ :

أمى وأبى.. أهديكم تحـياتى وسـلامى إلى جمـيع أهل الحى «حى أبوهندى» وأهل بلدتى..

لقد اشـتقت إليكم كـما يشتـاق الزرع إلى الماء والعليل إلى الدواء والطفل إلى حنان أمـه.. ثم يسكت ويرتشف الشـاى وينظر إلى عـدد

من طيور البيت قد جاءت لتلتقط بقايا الأكل الموزع فى أحياء البيت «هشى ياسندس» واسم سندس هذا هو الذى اختاره ليتفرد به عن باقى بنات البلدة..

وكان عبده الكركور متمرسا فى حرفته ويتصنع إضاعة الوقت لتطول مسافة قراءة الخطاب ليضمن الخمسين قرشاً ثمن القراءة ناهيك عن قطع الجبن التى تصله أو ربما بعض من اللبن الحليب الطازج.

مع دقات قلب السيدة أم أحمد وبطء دقات الشيخ عبده وتبلده فى هدوئه القاتل وبروده وهو يواصل القراءة :

أعذرينى يا أمى الحبيبة لا أستطيع أن أكتب إليك بعد هذا الخطاب لأننا نستعد لحرب طويلة مع إسرائيل.

وفجأة... وأثناء قراءة الخطاب سمع الجميع أصوات أطفال القرية يحملون صفائح ويدقون عليها قائلين: الله أكبر بسم الله بسم الله.. أذّن وكبر بسم الله بسم الله..

وقف الشيخ عبده يستطلع الأمر.. وجد الجميع يتحدثون عن عبور قواتنا المسلحة إلى شرق سيناء.. ابتسم الشيخ عبده ابتسامة المنتصر قائلاً لأم أحمد: مبروك أحمد الآن يقاتل منتصراً .. أحمد الآن بطل من أبطال مصر خرجت السيدة أم أحمد مسرعة وهى تدعو لابنها بالعودة بسلامة الله..

وتردد يارب تكون «العواقب سليمة» .



أسكنه الله فسيح جناته

أسكنه الله فسيح جناته

● (بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.. خير ما نبدأ به إرسال إذاعتنا المحلية صباح اليوم هو القرآن الكريم، من تسجيلات الشيخ محمد رفعت نستمع إلى ما تيسر من سورة «الإسراء»). كان هذا هو صوت صاحب أشهر إذاعة محلية فى مصر.. إنه أبو سليم البحطيطى الذى ذاع صيته وانتشرت شهرته الإذاعية من خلال إذاعته المحلية التى تبث برامجها خلال سنوات طويلة مضت منذ كانت مدينة القنايات قرية من أكبر قرى مصر فقد وزع ميكروفوناته السبعة فى كل اتجاه من أعلى نقطة من فوق منزله ضامناً بذلك أن هذا البث سيغطى المنطقة كلها . فقد كان صعباً على أهالى المدينة الذين لا يزالون يتعايشون بأخلاق القرية أن يتعرفوا على أخبارها.. ومن هنا كانت إذاعتهم المحلية التى كانوا ينتظرونها صبيحة كل يوم قبل الانطلاق إلى العمل والسعى على الرزق ليتعرفوا من خلالها على أهم أخبار المدينة، من وفيَّات ومواليد وأفراح وأحداث وأشياء مفقودة، كانت الإذاعة تبث برامجها على فترتين فالفترة الصباحية تبدأ من السابعة يستهل افتتاحها بالقرآن الكريم مقلداً إذاعة الشرق الأوسط منفرداً بتسجيلات نادرة للشيخ محمد رفعت، ثم يتبع ذلك الأغانى

الخفيفة والتى تدعو للتفاؤل والانشراح مثل «ياصباح الخير ياللى معانا» لأم كلثوم.. وفجأة تتوقف الأغنية ويذيع أبو سليم البيان التالى قائلاً : «إنا لله وإنا إليه راجعون.. توفى صباح اليوم المرحوم المغفور له الحاج السيد مباشر والد العميد يسرى مباشر بالقوات الجوية وبشرى مباشر بالجمهورية للأدوية وشقيق كل من الحاج صبرى مباشر عضو مجلس الشعب وكمال مباشر وكيل وزارة التعليم و... و....» ويستكمل البحطيطى ذكر أسماء العائلة ولا ينسى أن يقول «والدفنة عقب صلاة الظهر بمسجد السوق».. كانت حزمة المواهب التى يمتلكها أبو سليم لا يمتلكها أحد غيره فقد كان حافظاً للقرآن قارئاً للتواشيح الدينية.. يقرض الشعر ويلقيه خطيباً مفوهاً.. فيلسوفاً من أهل الخبرة والحكمة علاوة على أنه كان تاجراً للأقطان وصاحب بقالة تموين وإذا مررت به يوماً فى دكانه لا تجده صامتاً بل تجد بيده آلة يصلحها فقد امتهن أخيراً مهنة إصلاح الأجهزة الكهربائية بعد انتشار هذه الأدوات بعد ثورة يوليو، ناهيك عن أن ذاكرته كانت لا تغيب عندما يجلس فى صلاة الجمعة شبه نائم وفجأة وكأن لدغته عقرب حين ينتبه يصحح للخطيب من فوق المنبر آية قرآنية أو استهلالا لحديث.. فالرجل كان متفقهاً ومتحدثاً لبقاً فى الدين

والسياسة والعلوم واللغة ناهيك عن أنه كان مفتاحاً انتخابياً نظراً لصداقاته العديدة والكبيرة بأعيان أهل الإقطاع بالقرى المجاورة - أم رماد والطيبة وبهنباى، وفرسيس والأشراف والنخاس..

كانت فترة إرسال الإذاعة المسائية أكبر من الفترةالصباحية حيث كانت تبدأ من الرابعة وتمتد حتى أذان العشاء وكانت تذيع الأخبار السارة مثل نتائج المتفوقين الأوائل فى الشهادات المختلفة، وكان الإعلان يلعب دوره فى دخل كبير للإذاعة فقد كان بعض الأفراد يهنئون الناجحين مقابل أجر لا يقل عن خمسة جنيهات - فى التهنئة الواحدة - وكذلك أخبار الخطبة وعقد القران والزفاف، وكان فى كثير من الأحيان يقطع الإرسال ليعلن ضياع حمار الشيخ سعود الدهشان ولمن يجده الحلاوة.. وهكذا أصبحت إذاعة أبو سليم من أهم معالم المدينة. أصبحت شهرة أبو سليم كصاحب إذاعة أهلية تفوق شهرته كتاجر فى الخمسينات وكان يفتخر حين يستوقفه المارة من الشيوخ يطلبون منه فقرات إذاعية مختلفة ويلبى طلبات بعضهم. فهذا واحد منهم يقول له بالله عليك نفسى أسمع الشيخ الحصرى ولو لمدة خمس دقائق - وآخر يطلب عدم إذاعة أغانى عدوية لأنها ضعيفة الأسلوب.. وتمر الأيام والسنون. وفى صباح أحد الأيام دقت الساعة السابعة

كالعـادة وسمع الناس البحطيـطى بصوت كله عبـرة وألم يقول :
«بسم الله الرحمن الرحـيم إنا لله وإنا إليه راجعـون.. توفى اليوم
المرحـوم المغفـور له أبو سليم البحطيطى صـاحب الإذاعة المحلـية
وستـشيـع الجنازة بعد صـلاة الظهر من المسـجد الكائن أمـام بيـته
أسكنه الله فـسيـح جناته»، وبدأ الشيخ مـحـمد رفـعت فى تلاوة
القـرآن الكريم «يا أيتهـا النفس المطمئنة إرجـعى إلى ربك راضـية
مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى».. صدق الله العظيم.

فهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب
٤١٠٥ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 08 - 1208 - 0
كتاب أوتار الحب تعزف عشقا

تمت بحمد الله